الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

جمالية الشعر الثوري الجزائري عند مفدي زكرياء

-الإلياذة أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص: أدب جزائري.

إعداد الطالبتين

- قزول حياة
- مرزوق حليمة

إشراف الأستاذة الدكتورة:

أ. د/ بلحوالة سهيلة

السنة الجامعية :2023/2022

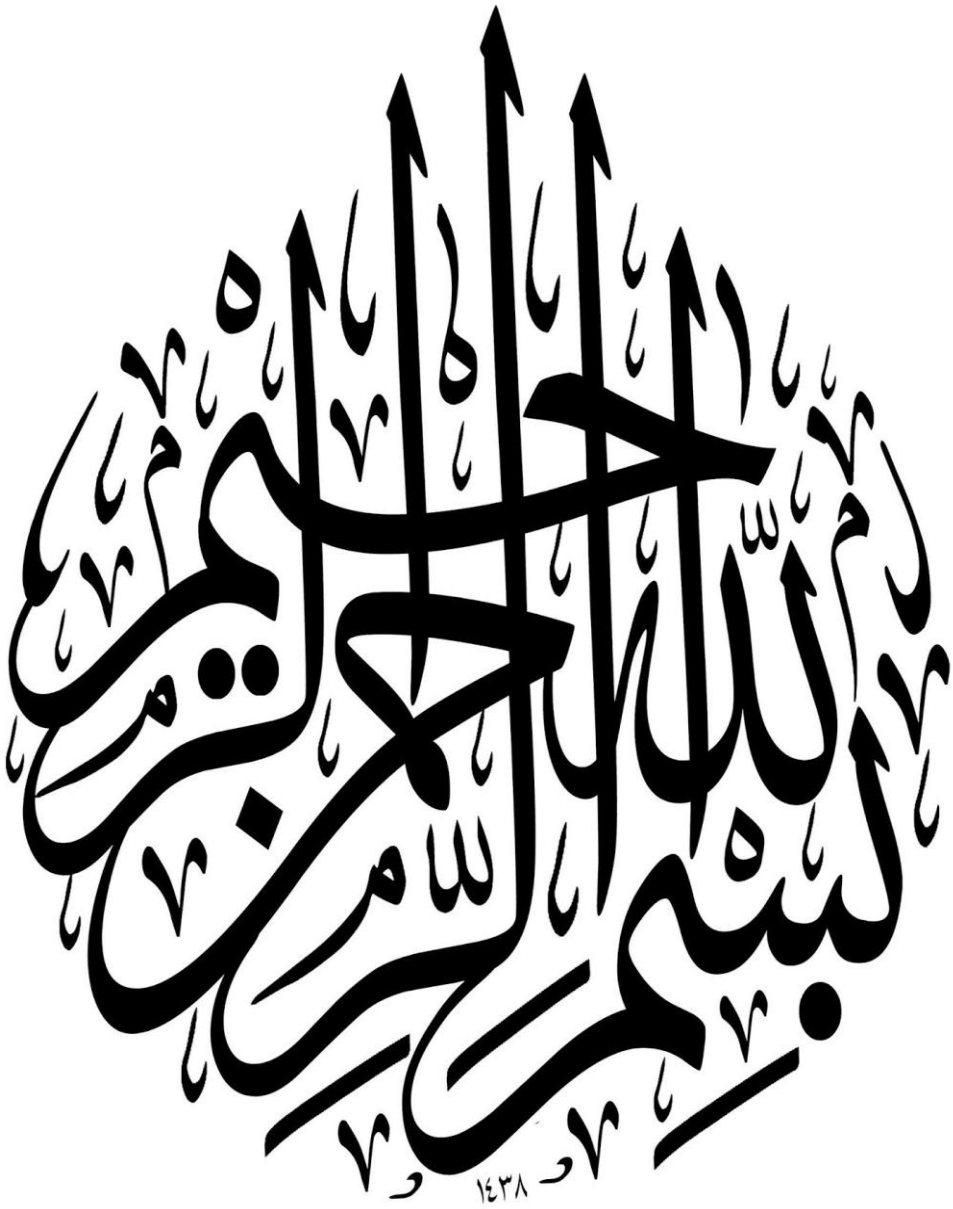
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكـــر وتقديـــــــر

أستاذتنا الفاضلة الدكتورة بلحوالة سهيلة

إنه من دواعي الفخر و الاعتزاز أن نتكون على أيديكم، وأن تكونوا سندا لنا، ومرافقا وموجها في بحثنا هذا، حيث ساهمتم من خلال توجيهاتكم و ملاحظاتكم في إثراء هذا البحث.

فلكم منا جزيل الشكر والامتنان، وصدق من قال "من علمني حرفا صرت له عبدا"

شكرا لكم مرة أخرى

حياة * حليمة

الإهداء

إلى من روحه حية في الوجدان ، إلى من اسمه يعطيني الأمان ، أسكنه الله فسيح الجنان أبي الغالي رحمه الله.

إلى من بدعائها و رضاها يضاء دربي و ينشرح صدري ، بهجة دنيتي وزهرة حياتي أمي الحنون حفظها الله.

إلى من آثروني على أنفسهم ، وكانوا السند في السراء والضراء إخوتي الأعزاء

إلى كل أساتذة و طلبة جامعة خميس مليانة –كلية الآداب واللغات - و على رأسهم الدكتورة بلحوالة سهيلة وفقهم الله.

إلى جميع الأصدقاء و الزملاء في العمل حفظهم الله.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضعة هذا.

حيـا ة

الإهداء

إلى من كان لي سندا وعونا عند الشدائد طوال عمري إلى الرجل الأبرز في حياتي

إلى أبي

إلى القلب المعطاء والصدر الحاني

أمي الحبيبة .

إلى من شد الله بهم عضدي فكانوا خير معين

إخوتي وأخواتي

إلى من ساعدني ولو بحرف في حياتي الدراسية

إلى هؤلاء جميعا : أهدي عملي هذا المتواضع

حـلـيـمـة

مقدّمة

الحمد لله، فتق العقول بمعرفته، وأطلق الألسن بحمده، نحمدك ربي حمد الشاكرين على نعمائك أن جعلتنا مسلمين، وجعلت اللغة العربية لغة القرآن والدين، ونسألك أن تصلي وتسلم على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سلك سبيلهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد:

الشِّعر ديوان العرب، لذا فهو في حقيقته ليس عالمًا مسطحا يتمكن منه القارئ دون عناء. إنَّه عالم سحري جميل يموج بالحركة والألوان، فهو عالم لا يعترف بالنهائية والحدود، وبهذا الشكل يأتي مفاجئا عدوا للمنطق، والحكمة والعقل؛ إنَّه عالم التخطي و التجاوز والسعي وراء المطلق للإمساك به، وتجسيده في التجربة الشِّعرية بواسطة الكلمة والرمز و الـصو ر ة .

وقد سعى الأدباء – خاصة العرب – إلى تغيير الواقع المزري الذي عرفته الإنسانية بعد الحرب العالمية الثانية، وما أفرزته من نتائج وخيمة في شتى مناحي الحياة، حتمت وفرضت على الأديب أن يبذل قصارى جهده في معالجة هذا الواقع المرير الذي فرضته الظروف السياسية، ولعل أهمها الاستعمار، وكان للشعراء الجزائريين الدور الكبير في التعبير عن الوضع الطارئ الذي ينخر جسد الشعب الجزائري خاصة والأمة العربية عامة.

ومن هنا، فإنه لا يمكن فصل الأديب عن المجتمع، فهما وجهان لعملة واحدة، لكون الأديب إنسانٌ يعيش في وسط اجتماعي يتأثر به ويؤثر فيه، يتبادل معهم الهموم والتطلعات ويشاركهم الأفكار والهواجس والعظات، فإن أدبه مرآة عاكسة لأحوال المجتمع وانشغالاتهم.

وقد تطرقنا في بحثنا هذا لدراسة أحد الشعراء الجزائرين مفدي زكرياء في مؤلفه " إلياذة الجزائر" وماشدنا إليها هو غموضها الأدبي، بحيث تشكل اللغة والصورة فيها بنية فكرية محكمة تغري الدارس للبحث والغوص في أشعارها، كما تميز إنتاجه الشعري بسمات الجمع بين ماهو تراثي وحداثي سواءا في الشكل أو المضمون والأداء و هذا أحد أبرز أسباب إختيارينا لهذا الشاعر إلى جانب الكشف عن السمات الجمالية لخطابه الشعري ودلالته، بالاضافه إلى أسلوبه وطاقاته الابداعية التي تضاهي كبار الأسماء العربية في المشرق.

ومن أهم التساؤلات التي طرحناها في هذا البحث ما يأتي:

- ما هي تجليات الثورة في الشعر الجزائري؟
- ما العلاقة بين الشعر الجزائري والثورة؟
- ما مدى تفاعل الصورة الشعرية مع الثورة التحريرية وأحداثها عند مفدي زكرياء؟

ومن أسباب و دوافع اختيار هذا الموضوع الموسوم:" **جمالية الشعر الثوري الجزائري عند مفدي زكرياء " الإلياذة أنموذجا**"

- منها تسليط الضوء على الشعر الثوري وجمالية صوره وعلاقته بالثورة الجزائري ومساهمته الفعالة في بث الوعي أو الحس الثوري الذي أيقظ فيهم هاجس التحرر الذي والحمد لله صار استقلالا بعدما كان حلما بالحرية فقط.
- ومنها معرفة أثر الثورة في شعر أبرز رموز الثورة الجزائرية وأحد فطاحلة الشعر الجزائري الثوري " مفدي زكرياء "، الذي شغل الناس وملأ الدنيا بروائع شعرية متميزة، برز فيها الالتزام في أرقى صوره، حيث سخر شعره للذود والدفاع عن هذا الوطن العزيز.
- وليكون هذا البحث عرفانا منا وتقديرا لأعمال هذا الشاعر المجاهد والمناضل الذي بذل النفس والنفيس من أجل الجزائر وثورتها.

وقد استفاد البحث من دراسات سابقة لعلّ أهمها:

1- حواس بري: شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، دط، 1994.

2- محمد ناصر: مفدي زكرياء : شاعر الثورة والنضال،جمعية التراث ، العطف ،غرداية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ط2، 1969.

وتوزعت الدراسة على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة وفهارس: أما **المدخل** فقد تحدثنا فيه عن مفهوم الجمالية والخطاب لغة واصطلاحا.

وتناول **الفصل الأول** علاقة الشعر بالثورة الجزائرية ، ثم مفهوم الشعر الثوري، يليه أخيرا الحس الثوري في شعر مفدي زكرياء. كما تناول **الفصل الثاني**، صورة الثورة وجمالية الشعر في قصيدة إلياذة الجزائر تحليل أبيات شعرية ؛ وقسم الى :الصورة الشعرية وإيقاع الحرية وهاجس التحرر في قصيدة إلياذة الجزائر . وأما الخاتمة فكانت حوصلة لأهم نتائج البحث.

ولبلوغ ما يهدف إليه البحث لقد اعتمدنا في هذا البحث على منهجين وهما المنهج الوصفي و المنهج التحليلي، مع مختلف الآليات والإجراءات، وذلك في اسخراج النماذج الشعرية ثم القيام بوصفها وتحليلها والكشف عن القيم الفنية والجمالية للبنيات المكونة للخطاب الشعري وتأثيرها في نفسية الشاعر مفدي زكرياء. وأما المنهج الثاني فتتبعنا به الأدوات الفنية التي استعان بها للتعبير عن أهم القضايا التي تناولها في قصائده، كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والموسيقى الشعرية.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل على ما أعان ويسّر، كما نتقدم بالشكر والتقدير لأستاذتنا المشرفة الدكتورة" بلحوالة سهيلة " التِّى طالما حمُلنا أن تكون مشرفتنا، نشكرها جزيل الشكر كفاء ما قدمته من جهد وما أبدته من نصائح وتوجيهات وملحوظات أنارت طريقنا و حتى يستوي هذا العمل ويبلغ مستوى من الجودة وينال القبول عند اللجنة الموكول لها تقييم هذا البحث، والله ولي التوفيق والسداد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المدخل

- مفهوم الجمالية (لغة واصطلاحا)
- مفهوم الخطاب الشعري (لغة واصطلاحا)

1- مفهوم الجمالية(لغة واصطلاحا):

الجمال صفة لصيقة بالذوق، وهو مشترك عند بني البشر، تحبذه النفوس البشرية وتميل إليه وتتعلق به، كما تسعى جاهدة لتمامه وإدراكه حسيا وماديا، وذلك نظرا للأثر البالغ الذي يتركه في النفوس، ويعتبر موضوع الجمال وما يتصل به من مصطلحات وإشكاليات من أكثر الموضوعات تعقيدا وإثارة للجدل، حيث تعددت الآراء وتنوعت المفاهيم في هذا الموضوع ويصعب إيجاد مفهوم شامل وجامع، فهو خاضع لشبكة معقدة من العلاقات المترابطة يتداخل فيها الذاتي مع الموضوعي و المادي مع المعنوي والحسّي مع المجرد ومع كل الاختلافات الموجودة في تحديد مفهوم شامل متكامل لموضوع الجمال ،إلا أن هناك شبه اتّفاق على أن الجمال لا يعدو أن يكون إحساسا وشعور او ذوقا رائعّا يتمتع به كل الناس، وتختلف نظرتهم له.

أما مصطلح الجمالية وجمعه جماليات فهو مصدر صناعي يعود اشتقاقه إلى كلمة (جمال) أُلحقت به الياء المشدّدة للدلالة على ما في اللفظ الذي صنع منه من خصائص،وتعني العلم الذي يعكف على الأحكام التقييمية التي يميز بها الانسان الجميل من غير الجميل" [1]

ومصطلح الجمالية ينطبق عليه أيضا ما ذكرناه عن الجمال،فلا نكاد نعثر على تعريف دقيق وشامل لهذا المصطلح، ووجب أن نشير هنا إلى أن هناك العديد من المصطلحات التي تتداخل مع المصطلحّ، وسنتطرق هنا إلى تعريف الجمال من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم نستعرض تعريف الجمالية أو علم الجمال وذلك بما يخدم موضوعنا، مستعينين في ذلك بمجموعة من المفاهيم والآراء النقدية في هذا الموضوع

1-1- الجمال لغة :

تأخذ كلمة الجمالّ فيٍ الجانب اللغوي عدّة دلالات ومعان، وحينما نتتبع هذه اللفظ في المعاجم العربية نجد أن معانيها لا تختلف كثيرا من معجم لآخر،ّ فكل دلالاتها اللغوية

[1] -عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 1، 1997م، ص 147

جاءت متقاربة ،ّ حيث جاء في **لسان العرب** أن«الجمال مصدر الجميل والفعل جمَل أي حسُن، أي أن الجمال هم الحسن»[1]

وجاء فيه أيضا«ّالجمال يقع في الصور والمعاني، وفي الحديث: إن الله جميل يحب الجمال، أي حسن الأفعال كامل الأوصاف»[2].

وهذا المعنى وارد ومتداول بشكل كبير في الاستعمال اللغوي، فيكون الوصف بالجمال بمعنى الحسن والبهاء في الصور والأشكال منجهة، كما قد يكون في الأمور المعنوية كالأخلاق والروح وغيرها من جهة أخرى.

أما كتاب العين **للفراهيدي** فقد جاء فيه«الجميل بمعنى بهاء وحسن ، ويقال : جاملت فلانا مجاملة إذا لم تصف له المودة وماسحته بالجميل ، ويقال أجملت في الطلب،وأجملت في الحساب ، والكلام من الجملة »[3] ، ونفس المعنى تقريبا نجده في القاموس المحيط « الجمال: الحسن في الخلق والخلق، جمل ككرم، فهو جميل كأمير، والجملاء: الجميلة والتامة الجسم من كل حيوان، وتجمل: تزين، وأكل الشحم المذاب ، وجامله: لم يصفه الإخاء بل ماسحه بالجميل ، أو أحسن عشرته، وجاملك أن لا تفعل كذا، أي الزم الأجمل ولا تفعل ذلك »[4]

فمعنى الجمال لغويا متفق عليه تقريبا في المعاجم العربية، حيث أنه جاء بمعنى الحسن والبهاء في الخلق والخُلق على حد سواء،فهو صفة قد تكون معنوية للأخلاق، وقد تكون مادية للأشياء.

ويقدم لنا أبو هلال العسكري الفرق بين كلمتي الحسن والجمال فيقول«:الحسن في الأصل في الصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق

---

[1]– ابن منظور ،لسان العرب،دار الجيل، بيروت، لبنان،1988م، مادة(جمل)

[2]–المرجع نفسه

[3]– الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين،تح:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، مج1، ط1، 2003م، ص.261

[4]– الفيروز أبادي،القاموس المحيط،تح:محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8،2005م، مادة(جمل.)

والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصورة»[1]، أي أن الحسن مرتبط بالصورة في أصله، بينما الجمال مقرون بالأفعال والأخلاق.

من خلال ما ذكرناه يمكننا أن نحدّ د المعنى اللغوي للجمالً ، والذي يتمثل أساساُ في الحُسن والبهاء، ويحمل بعدين اثنين:ٌ بعد حسي يظُهر في وصف الأشياء وتقسيمها، وبعد أخلاقي مُعنوي يظهر في ضبط النفس وإلزامها، دون أن نغفل عن البعد الثالث وهو البّعد الفني الذي عبر عنه ابن الأثير في قوله : « الجمال يقع على الصور والمعاني»[2]

1-1- الجمال اصطلاحا:

مصطلح الجمال من المصطلحات التي يصعب حصرها والإحاطة وذلك راجع إلى تشابكها وتعقدها، وبالتالي يصعب تقديم تعريف جامع للجمال فمفهومه قريب متداول ويفهمه الجميع ولكن التعريف به بعيد المنال، وقيل إن الجمال لا يقبل التعريف لأنه وجداني يختلف الأفراد في تقديرهم له، وإنما يُفهم من الأشياء الجميلة»[3]

ولو أردنا أن نقدم تعريفا للجمال سنجد بأن له نصيبا كبيرا من اشتقاقاته اللغوية،فهو « رقة الحُسن، و هو ضربان:أحدهما مختص بالإنسان نفسه وفنّه،والثاني يصل منه لغيره»[4] فالجمالّ، إمّا متعلقّ بالإنسان في شخصه أو أفعاله، وإما أن يصل إلى غيره.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكننا أن نستنتج أن الجمال يعني الحسن والبهاء، وهو مرتبط بالذوق والقبول في النفسّ ، كما أنه يشمل الحسي المتمثل في الأشياء المادية، والمعنوي المتمثل في الأخلاق والأفعال.

وبما أن موضوعنا في الشعر الشعبي فلا بأس بأن نورد بعض دلالات كلمة الجمال في اللغة الشعبية، وهي لا تختلف تماما عن ما جاءت عليه في اللغة العربية الفصيحة سواء

---

[1] -أبو الهلال العسكري : الفروق في اللغة العربية، تح :محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط ، د ت ، ص 262

[2] -ابن منظور : لسان العرب،دار صادر، بيروت ، لبنان ،ج3، ط1، دت، م س، مادة(جمل).

[3] -صالح أحمد: الظاهرة الجمالية في الإسلام ، المكتب الإسلامي ، بيروت، لبنان، د ط ، 1987م، ص 23-24.

[4] -المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمة التعاريف، عالم الكتب، القاهرة ، مصر ، ط 1، 1990م، ص 129.

على المستوى الدلالي أو على المستوى الصرفي، وربما تكون بعض الاختلافات الصرفية الطفيفة.

1-2- مفهوم الجمالية:

الجمالية أو علم الجمال أو **الاستطيقا** هو العلم الذي يبحث فيما هو جميل، أو العلم الذي يدرس الظاهرة الجماليةّ، فمصطلح الجمالية في اللغة العربية مركب من لفظة(جمال) ملحقة ب(ية)، وهذا العلم في الأصل هو مذهب فلسفي انتقل إلى الدرس الأدبي والنقدي. ومصطلح (الاستطيقا) ألمانيُ الأصل، حيث يعتبر الفيلسوف الألماني **باومجارتن** أول من صاغ هذا المصطلح، و كان ذلك سنة1735م، وقصد بذلك«العلم الذي يدرس المدركات الحسية..علم المعرفة الحسية وفن التفكير على نحو جميل»[1] .

فهذا العلم هو فرع من فروع الفلسفة يهتم بطبيعة الجمال والفن و الذوق، وبالأحرى فهو «علم موضوعه دراسة الجمال في أعمال الفن الجميل، ودراسة تكوين الذوق وإصدار الأحكام»[2]

وتعتبر آراء الفيلسوف أفلاطون هي أقدم نظرية في تأسيس علم الجمال، على اعتبار أن الجمال هو أحد المثل والقيم العليا التي يطمح لها الناس، فالجمال الذي نراه في الأشياء الكائنة بعالمنا صورة ناقصة لذلك الجمال المطلق ، و كلما اقترب الشيء من مثله الأعلى ازداد حظا والعكس صحيح[3] ، فأفلاطون هنا يعتبر الجمال الحقيقي الذي نراهيأتيّ في المرتبة الثانية مقارنة بالجمال المطلق الذي صنفه في المرتبة الأولى.

أما الفيلسوف أرسطو فهو يرى أن الجمال الموجود في الفن هو بالتأكيد محاكاة لما هو في الطبيعة، وهو مبدأ منظم له، ولكن وفق معيار عقلي كلي، بحيث يؤدي وظيفة مفيدة

---

[1] –عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر، د ط ، 1992م، ص 15.

[2] – صالح أحمد: الظاهرة الجمالية في الإسلام ، المكتب الإسلامي ، بيروت، لبنان، د ط ، 1987م ، ص 33

[3] – عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 32-33.

تتمثل في الآثار التي ينتجها[1]، فهو لا يعتبر الفن والجمال سوى محاكاة للطبيعة والواقع. فالنظرية الجمالية عند أرسطو تقوم على المحاكاة كل ما نراه، ومن جمال إنما هو يحاكي الطبيعة، على اعتبار أن الفن يؤدي وظيفة مهمة ومفيدة، وبالتالي فهو لا يختلف كثيرا في هذا مع ما جاء به أفلاطون.

أما هيجل فهو يعتبر الجمال الفني أسمى من الجمال الطبيعي باعتباره انعكاسا للروح فهو يرى أن الجمال هو التّجلي المحسوس للفكرةً ، وقد حاول أن يضع أسسا لعلم الجمال من خلال تحديد موضوعه وتميزه عن بقية العلوم الأخرى.

2-1-الخطاب لغة:

وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في عدة مواضع وجاءت في الغالب بمعنى الكلام نحو قوله تعالى:﴿ **وَشَدَدْنَا ملكَه وَءَاتينه الحكمة وفصل الخطاب**﴾ [2] وقوله تعالى:﴿ **إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنها وعزني في الخطاب**﴾[3] وجاء أيضا في مواضع أخر بمعنى التخاطب:الأمر الشديد الذي يكثر فيه الحديث، وذلك نحو قوله تعالى:﴿ **قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه**﴾[4]، وقوله تعالى:﴿**ووجد منهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير**﴾[5] ، وقد جاء ذكر هذا المصطلح عدة مرات في القرآن الكريم وفي الغالب كان بمعنى الكلام والحديث.

ويقدم **ابن عربي** تفسيرا لـ(فصل الخطاب)، فيقول«:فصل الخطاب:ّالفصاحة المبينة للأحكام، أي الحكمة النظرية والعلمية والمعرفةّ الشرعية، وفصل الخطاب هو المفصول

[1] – عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 34.

[2] –سورة ص ، الآية 19.

[3] – سورة ص ، الآية 23.

[4] – سورة يوسف ، الآية 51.

[5] –سورة القصص، الآية 23.

المبين من الكلام المتعلّق بالأحكام»[1]، ونجد التفسير نفسه تقريبا فيما ذكره **ابن منظور** بقوله«:فصل الخطاب: هو أن يحكم بالبينة أو اليمينُ، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميّز بين الحكم وضدّه، وقيل:فصل الخطاب: أما بعدّ،وداود عليه السلام أول من قال:أما بعـد وقيل:فصل الخطاب الفقه في القضاء»[2].

أما المعاجم العربية فنجدها قد استندت للقرآن الكريم والتفاسير في تعريفها للخطاب ففي لسان العرب(«:خطب)من الجذر(خ ط ب)، وخطب الناس وفيهم وعليهم أي ألقى خُطبة، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلامً، وقد خاطبته بالكلام مخاطبة و خطابا، وهما يتخاطبان، وقد قيل قديما:خاطبه في الأمر أي حدّثه بشأنه»[3].

ونفس المعنى تقريبا نجده عند **الفراهيدي**، حيث يقول«:خطب الخطب سبب الأمر والخطاب مراجعة الكلام، والخُطبة مصدر الخطيب كان الرجل في الجاهليةِ، وإذا أراد الخطبة قام في النادي، وجمع الخَاطب خُطّاب، وقد خطب لونه خطبا، قال ذو الرّمة:

قود سماحيج في ألوانها خطب »[4]

أما الجوهري فنجد أنّه قرن الخطاب بالكلام، حيث يقول«:خطبت على المنبر خطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا»[5]، بينما الزمخشريّ نجده قد توسّع أكثر من خلال التعريج على زاوية أخرى للخطاب متمثلة في الخِطبة والنكاح، فيقول«: خاطب أحسن الخِطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خُطبة حِسنة، وخطب الخاطب خِطبة جميلة كثر خُطّابها ، هذا خطبها، وهذه الخِطبة وخَطبته، و كان يقوم الرجل في النادي في

[1] –ابن عربي : تفسير القرآن الكريم، تح : مصطفى غالب، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، مج 2، ط 2، 1978م، ص 168 .

[2] – ابن منظور : لسان العرب،دار صادر، بيروت ، لبنان ،ج3، ط1، دت، م س ، مادة (خ ط ب).

[3] – ابن منظور ، المرجع نفسه

[4] –الخليل ابن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ،ج1، ط1، م س ، ص 119 .

[5] –الجوهري : الصحاح ، تح : إيمل بديع يعقوب ، محمد نبيل الطريفي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،ج 1، ط 1، دت، مادة (خ ط ب).

الجاهلية فيقول:خطب من أراد نكاحه قال نكح، واختطب القوم فلانا، أي دعَوْه أن يخطب إليهم يقال اختطبوه فما خطب إليهم»[1].

ممّا سبق ذكره من التعاريف اللغويّ ة للخطاب يتضح لنا أن هذه التعاريف كانت على صلة وثيقة بالتفاسير، حيث استندت عليها، كما أشارت إلى ارتباط خفي بين الخطاب والخطابة بوصفها جنسا أدبيا نثريا عريقا، فالمعاجم العربية والتفاسير أجمعت بشكل كبير على أن الخطاب مرادف للكلام والحديث.

ورغم قِدم جذور كلمة الخطاب فيالثقافة العربية من حيث أصولها، إلا أن استخدام المعاصرة مقرونة بالترجمة، حيث أشيرحقولها الدلالية إلى معان وافدة، ليست من قبيل الانبثاق الذاتي في الثقافة العربية، فما نقصد بالكلمة المصطلح(الخطاب)هو نوع من الترجمة أو التعريب لمصطلح Discourseفي الإنجليزية و نظيرهDiscoursفي الفرنسية، أو Diskursفي الألمانية»... [2]

فعلى مستوى الاشتقاق اللغوي لهذا المصطلح نجد أن«أغلب المرادفات اللغوية الشائعة لمصطلح (الخطاب) مأخوذة من أصل لاتيني، وهو الاسمDiscursus المشتق من الفعل Discursere والذي يعني(الجري هنا وهناك)أو(الجري ذهابا وإيابا)، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفّظ اللغوي وإرسال الكلام والمحادثة الحرّة والارتجال، ونميّز ذلك من الدلالات التي أفضت–في اللغات الأجنبية–إلى معاني العرض والسرد»... [3] ، وهذا يقودنا إلى المعنى الأصلي للمصطلح والذي يدور حول معنى التدافع.

ويمكننا القول إن مصطلح الخطاب بالرغم من قدمه في الثقافة العربية إلا أن استعمالاته اللغوية والنقدية تزامنت مع ظهور المصطلح في الغرب، فقد وفد إلينا هذا المصطلح من الثقافة الغربية عن طريق التراجم.

---

[1] –الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة ناشرون ، لبنان، ط 1، 1998م،مادة (خ ط ب).

[2] –جابر عصفور : آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق ، سوريا ، ط 1، 1997م، ص 47

[3] – جابرعصفور : المرجع نفسه ، ص 48

2-2-الخطاب اصطلاحا:

حظي مصطلح الخطاب باهتمامّ واسع من طرف الدارسين والباحثين، حيث تعدّدت مفاهيمه سواء عند العرب قديما أو حديثا،أو عند الغرب.

ونجد أن هذه المفاهيم لا تختلف كثيراّ،بل ربما تتّفق علىّ مرجعية ثابتة متمثلة في الترادف بين الخطاب والكلام.

ويقدّم الكفويّ مفهوما معمقا للخطاب بقوله«:الخطاب:ّ اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، احترز(باللفظ)كات، والإشارات المفهمة بالمواضعة عن الحر و(بالتواضع عليه)عن الألفاظ المهملة، و(بالمقصود به الإفهام)عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا،وبقوله(لمن هو متهيئ لفهمه)عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم»[1]،فالكفوي هنا يضع حدودا كاملة لعناصر حلقُ ة الخطاب، ثم يورد الشروط اللازمة لكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة، فالخطاب يجب أن يكون ممّا تواضع عليّه الناس والمخاطِب يجب أن تتوفر فيه مقصدية الإفهام وإرسال الرسالة، أما المخاطَب(المستمع)فلابد أن يكون مهيّئا للفهم ومستجيبا للخطاب وصاحبه، فعندئذ تكون عناصر الخطاب قد اكتملت بشروطها المطلوبة.

ووجب أن نشير إلى التطور الكبير الذي بلغه مفهوم الخطاب عند العرب القدامى،حيث أنهم حاولوا أن يطوّروا نظرية في النص وقد اجتازوا المفهوم اللفظي للكلام،يستقر عندهم أنالمتكلّم في تعبيره عن حاجاته لا يتكلم بألفاظ ولا بجمل، ولكن من خلال النص،وبذلك اتسعت أمامهم دائرة البحث الدلالي،وانتقلوا من البحث في مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتم تحميله المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب، ومنه فإنه يمكننا القول إن الخطاب أشمل من اللفظ والجملة.

[1] -الكفوي : الكليات، تح:عدنان درويش، محمد المعري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط 2 ،1998م، ص 419

ويمكننا أن نعتبر أن الخطاب مرادف للكلام في غالب الأحيان، أي أنهّ الإنجاز الفعلي للغة بمعنى«اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تتكلف بإنجازهّ ذات معينة، كما أنه يتكوّن من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية »[1] ، ونفس المعنى تقريبا نجده عند جابر عصفور الذي يعتبر الخطاب هو«اللغة في حالة فعل، من حيث هي ممارسة تقتضي فاعلا وتؤدي من الوظائف ما يقترن بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها»[2] .

أما عند الغرب فيعرّفه **جيرار جنيت** بأنه« الوسيط اللساني في نقل مجموعة من الأحداث الواقعية والتخيلية التي أطلق عليها مصطلح الحكاية»[3]، ومنه تتجلّى علاقة الخطاب بالحكاية.

وينقل لنا **نور الدين السد** تعريف **هاريس** للخطاب بأنه« ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تتكوّن من مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»[4]، فالخطاب حسبه مجموعة من الجمل المتتابعة والتي تشكل متتالية لسانية.

ومن خلال استعراضنا لمفهوم الخطاب لغة واصطلاحا يتضح لنا التقارب الكبير بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي، والذي يشيرّ في أبسط صوره إلى الكلام والحديثّ ، وممّا لا شك فيه أن الخطاب أخذ حيزا معتبرا في الدراسات اللسانية والنقدية وذلك محاولة من الباحثين والدارسين لفك شفراته وإبراز عناصره، والوصول إلى أبعاده وتأويلاته.

---

[1] –سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان، ط 3، 1997م، ص 21.

[2] – جابر عصفور : آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق ، سوريا ، ط 1، 1997م ، ص 48.

[3] –جيرار جنيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج ، تر : محمد معتصم وآخرون ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، الجزائر ، ط 2 ، 1997 م ، ص 38،39.

[4] –نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج2 ، د ط ، 1997م، ص 18 .

الفصل الأوّل

صورة الثورة في الشعر الجزائري

- علاقة الشعر بالثورة
- مفهوم الشعر الثوري
- الحس الثوري في شعر مفدي زكرياء

1.علاقة الشعر بالثورة الجزائرية:

عندما نقرن الشعر بالثورة المسلحة فنحن أمام متعتين : متعة الفن الشعري بخياله وتصويره وموسيقاه ، ومتعة الموضوع بزخمه وهوله و روعته التي تركت آثارها في نفوس الجزائريين ، فهذا هو حال الشعراء العرب مع الثورة الجزائرية التي أذهلت العالم ببطولات أبنائها، ورسمت للجزائر لوحة عزّ خالدة لا تؤثر عليها العوامل و المتغيرات ،ومهما يكن ،فإنّ عظمة الثورة الجزائرية تعد محطة من محطات الإبداع الشعري،ومصدرا مهما من مصادر الإلهام ، ويبقى الشّعر الثوري الذي قيل في الجزائر و تناول ثورتها المباركة يعدّ سجلا تاريخيا هاما يهدف «إلى بعث الروح الوطنية وتقوية النزعة القومية ومؤازرة حرب الرشاشات بحرب الكلمة»[1]

لقد تعددت مناقب ومواضيع الثورة الجزائرية،وحضورها في دواوين الشعر العربي من تمجيد للثوار، والتغني بانتصاراتهم،وتقديس تضحياتهم خاصة الشهداء منهم،ورفض لمختلف أساليب الاستعمار الفرنسي المحتل-الذي مارس لغة الموت والتشريد على شعب أعزل، وحثّ مختلف شرائح الشعب على الصمود والمواجهة ، وذمِّ جرائم الاستعمار الفرنسي ضد العزل من أبناء الجزائر خاصة فئة الأطفال والنساء والشيوخ، و كشف تلك الجرائم للرأي العام العالمي وإدانتها بشدة ،وغيرها من المواضيع التي أبدع فيها الشاعر العربي، وبقدر ما تشرفت ثورتنا المجيدة بجهود الشعراء العرب، فقد تشرفوا هم كذلك بها ، وهذه هي النتيجة الطبيعية لتلاحم الشعر الثوري العربي مع الأحداث التاريخية الجليلة للثورة الجزائرية، ومواكبتها بالتدرج ليبقى الشعر شاهدا تاريخيا عليها،ومواكبته لمختلف الأحداث البارزة التي عايشها الشعراء العرب، وتجرعوا مرارتها عبر مختلف قنوات الاتصال التي كانت تتابع عن كثب ما يحدث في أرض الجزائر من ثورة ونضال ضدّ المستعمر الفرنسي.

بدأت الثورة الجزائرية تأخذ مكانتها الحقيقية في ميدان الأدب العربي خاصة عندما احتفى بها الشّعراء العرب في مختلف الصحف والمجلات والدواوين الشعرية تزكية ودفاعا،وإشادة بها في مختلف النوادي والصالونات الشعرية كنوع من المباركة الشعرية لها،فكان الشعر نعم المعين للثورة الجزائرية وقتها،وقد توالت الأحداث التاريخية التي مرت بها الثورة الجزائرية،مما

---

[1] -أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر من 1954 حتى الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 1، الجزائر، ، 1985م، ص 100.

جعل جموع الشعراء يلتحقون بها مشكلين حلفا شعريا لنقل مختلف أخبار الثورة،وتمجد بطولاتها ضد المستعمر الفرنسي الغاشم،فقد انطلقت حناجر الشعراء العرب مجلجلة لإسماع صوت الجزائر عاليا انطلاقا من بلاد المشرق العربي وصولا إلى بلاد المغرب العربي الذي تتوسطه الجزائر.

1-1-عند شعراء المغرب العربي

لقد عرف الشّعراء خاصة والأدباء عامة طريقهم المرسوم نحو جماهير شعبهم التي ثارت لتستعيد حقها المشروع في الحرية و الكرامة والسيادة فوضعوا على عاتقهم مهمة حمل مشعل الثورة، وإنارة قناديل أخرى على درب ثورة الفاتح من نوفمبر54من خلال معايشتهم للثورة والتحامهم بأبطالها ، حيث أتيح لهؤلاء الأدباء الاستفادة من أدب الثورة الجزائرية الذي وجدوه ملحمة خصبة للعطاء يساهم في معركة التحرير، وذلك دفاعا عن الوطن والحرية ، فلقد فرضت الثورة على الأدباء السير في مسالكها الوعرة، والنمو في تربتها الخصبة خاصة في مختلف دول المغرب العربي التي احتضن شعراؤها بطولات الثوار الجزائريين ،والتعبير عن همومهم و مطامح الأمّة الجزائرية التي ثارت ضدّ الاستعمار الفرنسي ، وظلمه من أجل حقها في الحرية والسيادة، و هذا ما عبر عنه الشّاعر" **مفدي زكريا** " في **اللّهب المقدس** «الذي نلمس فيه تلك الصور العارية بوجه الجزائر الحقيقي التي عانت من ويلات الاستعمار وقهره»[1]

ومن هؤلاء الشّعراء النماذج الذي سخروا أقلامهم في خدمة الثورة الجزائرية بشعرهم نذكر"**أحمد الفقيه الحسن،** و**علي صدقي عبد القادر** من(**ليبيا**)،**عبد اللطيف أحمد خالص**،و**محمد الحلوي** من(**المغرب**)، **أحمد اللّغماني**، و**الهادي نعمان** من (**تونس**)، **محمد الصالح باوية**، و **أبو القاسم خمار** ، و **محمد العيد آل خليفة** ، و **مفدي زكريا** من (**الجزائر**)" فهؤلاء الأدباء أدركوا منذ البداية أن لهم رسالة مقدسة يحملونها بأمانة وإجلال نحو

[1] -محمد فاضل : الثورة والنضال في شعر مفدي زكرياء ، مخطوط رسالة دكتوراه ، إشراف حامد حفصي داود ، جامع الجزائر ، 1980م ، ص 154.

جزء هام من بلاد المغرب العربي(**الجزائر**)،قد لا تقل أهمية وخطورة عن سلاح الجندي ، فالأديب كما يقول الزعيم –**هوشي منه**– « هو مقاتل بالكلمات في حرب التحرير» ،فكانوا جميعهم مدعوين للإسهام الفعال بوسائلهم الخاصة بالشعر الملتهب ، بالكلمات المناضلة في معركة التحرير، واستطاعوا أن يسمعوا العالم صوت الجزائر المكافحة، ليتردد صداها في كل فج عميق ، مسايرين موكب الثورة الظافرة، إلى جانب إخوانهم ورفقائهم الثائرين في الجبال والسهول، في القرى والمدن ، ضاربين في ذلك أسمى وأروع مثال يحتذي في صلابة موقف الأديب لمجابهة الاستعمار، ومناهضة المستعمرين .

وبنفس الاحساس الصادق والشعور الوطني المغمور برائحة الثورة، والتحديات التي رسمها الشاعر العربي يصور لنا الشاعر الليبي" **أحمد الفقيه الحسن**" صورة تلبية أحرار الجزائروأبطاله واجب الثورة الجزائرية والالتحاق بساحات النزال والشرف، فيقول :

هبوا لإنقاذ الجزائر عندنا   نادى مناديها لأخذ الثار

آلو بأن لا يستقر قرارهم   إلا بمحق معالم الأشرار

بدمائهم كان الفداء ولأوطانهم   حتى يفك القيد بعد إسار

ذاقت بهم ذرعا فرنسا إذ غدت   بجهادهم في هذه من نار

تلك التي اندحرت على أعقابها   بسياسة خرقاء نحو بوار[1]

كما يصور الشاعر المغربي" **عبد اللطيف أحمد خالص**" في قصيدته "**موكب النصر**"

مشاهد تحدي ومقاومة الشعب الجزائري للمستعمر، وصبره في الكفاح والثورة وعدم الخوف من الشهادة في سبيل وطن يسمى الجزائر، والتي يقول فيها:

شعب أراد في الكفاح صفائحا   بيضاء يزينها ثبات نادر

[1] –أحمد الفقيه حسن : ديوان الشعر ، طرابلس، ليبيا، ط 1، 1967م، ص 62.

منذ اندلاع الحرب صمم عزمه وغدا يقوم صابرا ويغاور

لم يستكن لعدوه يوما رضي الحياة يسودها متآمر

مالآن قط وتردد لحظة إن المناضل للتردد هاجر [1]

أما الشاعر التونسي" **أحمد اللّغماني**" في ديوانه" **قلب على سفة**" يصور لنا تعلق الأشقاء التونسيين بالثوار الجزائرين ، فيقول:

بوادر خير باركتها نفوسنا ولكننا نرنو لإثراء البوادر

ولكننا نرنو إلى كل ذرة وكل حصاة من تراب الجزائر

دماء الضحايا راويات أديمه وأشلاؤهم مطروحة في الحفائر [2]

ومن المغرب الأقصى نجد الشاعر" **محمد الحلوي**" في ديوانه " **أنغام وأصداء**" يحتفي بشاعة المجاهد الجزائري، ويدعو ألى الاستبسال ، والاستماتة في ميادين الشرف وأن يخوض الخطب ثائرا على ظلم الاستعمار الفرنسي في سبيل تحقيق الاستقلال فيقول :

أطلق النار أو فسل الحساما هم أرادوا أن لايقروا السلاما

وامتطي الأدهم المطهم أو فاسر بليل وعانق الأكاما

واملأ الغاب من زئيرك كالليث يهز الهضابا والآجاما

وخض الموت ثائرا عربيا ابن أسد عاشوا أباة كراما [3]

---

[1] –عبد اللطيف أحمد خالص: موكب النصر ، مجلة دعوة الحق، ع 06، مارس ، مصر ،1962م، ص 76.

[2] –أحمد اللغماني: قلب على سفة ، الدار التونسية للنشر، ط 1، تونس، ، 1966م، ص 112.

[3] –محمد الحلوي: أنغام وأصداء ، ط 1، الدار البيضاء،المغرب ، 1965م، ص 117.

أما الشاعر الليبي" علي صدقي عبد القادر" في ديوانه " أحلام وثورة " فنجده في حالة ثورة وغضب على المستعمر الذي كانت جيوشه تدنس كل ماتلمسه من تراب وترهيب لحياة الأطفال والزوجات الصابرات على بشاعة الظلم من تفتيش وتنكيل، فيقول:

وتمشي طوابير جيش الأعادي

على تراب أرض بلادي

تدنس حياته الطاهرة

وتقتل أطفالنا النائمين

وتطعن زوجاتنا الصابرات [1]

ويتغنى العديد من الشعراء العرب بأمجاد وتضحيات المرأة الجزائرية التي قدمت الغالي والرخيص في سبيل حرية وكرامة شعبها بالجزائر وخاصة ماقدمته المجاهدة الرمز" جميلة بوحيرد" والتي كانت تلقب ب" بجندارك العرب"، لبسالتها وشجاعتهاونضالها في سبيل الحرية من قيد المستعمر الفرنسي ، وهذا ما دفع العديد من الشعراء يجسدونها في شعرهم على أنها النموذج الأمثل للمرأة العربية التي تتحدى وتقوم من أجل الكرامة ولاتستسلم للعدو الفرنسي مهما كان الثمن ، وعليه يتغنى الشاعر التونسي"أحمد المختار الوزير"في قصيدة عنوانها" وجود" ببطولة المرأة الجزائرية المجاهدة" جميلة بوحيرد" فيقول:

جميلة أنت الوجود بماتريدين مختارة راضية

وأنت الحياة وأكوانها بما فيك من عزمة ماضية

وذاك الإله السخي السناء يبارك أحلامه الزاكية [2]

[1] –علي صدقي عبد القادر: أحلام وثورة ، دار النشر المصرية ، مصر ، ط 1، 1957م، ص 116.

[2] –أحمد مخطار الوزير : من شعر الوزير ، الدار التونسية، تونس، ط 1، 1959م، ص 67-68.

ونجد أيضا الشاعر " محمد الخفيف" في قصيدة عنوانها"جان دارك العرب جميلة بوحيرد" المنشورة في مجلة " الرائد" جوان 1957

والتي يقدم فيها حوار شعريا مع المستعمر الفرنسي ، الذي تفنن في تعذيبها، ويشيد بصبرها وتحديها للغة التعذيب التي مارسها عليها ساخرة منه، فيقول :

اقتلوها...هل بكت إلا حماها أوشكت على الله أساها

اقتولها حرة صابرة يشفق الموت إذا الموت رآها

لم تعد إلا بقا أعظم جزع القيد لها منذ احتواها

اسألوها واسألواجلادها كم سقته من عذاب وسقاها

ورآها سخرت من ناره وكوته نارها لما كواها [1]

كما نجد الشاعر التونسي" الهادي نعمان" في ديوانه " النغم الحائر" يمدح شجاعة " جميلة بوحيرد" النادرة في زمن القهر والظلم الذي أذاقه لها المستعمر الفرنسي ، ويؤكد على أنها رمز للمرأة العربية الحرة الثائرة، والتي كانت تجاهد إلى جانب أخيها الرجل، فيقول:

جميلة أنت النصر والمجد والعلا وأنت العربون ليفنى غزاة

ففي حزامك السامي لدرس إلى الورى وفي عزمك العالي الشريف حياة

وفي موتك الدامي خلود ورفعة تمثلها يوم الفداء فتاة [2]

[1] – حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر ، ط 1، 2005م، ص 199.

[2] –الهادي نعمان : النغم الحائر ، مكتبة النجاح ، تونس ، ط 1، د س ، ص 53.

1-3-عند شعراء المشرق العربي

لقد ذاد الشّاعر العربي في المشرق عن الثورة الجزائرية، من خلال تسخير قريحته الشّعرية في احتضانها،والتباهي بها وتمثلها في كامل شعره قلبا وقالبا،وقد كانت هذه التجربة الشعرية التي خاضها الشعراء المشارقة تعبر بصدق عن تجربة فنية جميلة،وعن مسؤوليتهم نحو قومياتهم العربية التي كانت مستباحة من طرف الاستعمار البغيض ، فكان التاريخ يسجل لهم ، و عليهم ما يكتب من شعر يشفي الصدور ويسهم في الدفاع عن الشعب الجزائري الذي بات مستهدفا من طرف آلة التقتيل والتجويع والتشريد الفرنسية المسلطة على هذا الشّعب الأعزل.

في الحقيقة كل هذا لم يثنِ من عزيمة الشعراء في المشرق العربي من تقديم قرائحهم الشعرية ، وتسخيرها لكي تساهم في التعريف بالثورة الجزائرية وتقديمها للعالم على أنها أعظم ثورة والتغني بالمجاهدين الأبطال ، والثوار الأحرار، ومحاولة أخذ العبرة والتجربة منهم في الكفاح المسلح ضدّ المستعمر الفرنسي هذا من جهة، ومدح الثوار في ساحات الوغى والإشادة ببطولاتهم وتضحياتهم من جهة أخرى ،على اعتبار أنهم نماذج وأبطال يُقتدى بهم، كما نجد صورة الوطن والعروبة لم تغب عن هؤلاء الشعراء الذين اعتبروا الجزائر دائما جزءا من العالم العربي،ومن حق الشعوب العربية المضطهدة استَّرداد حريتها و كرامتها المستلبة بكلّ ما أوتيت من قوة، والحفاظ على هويتها العربية والإسلامية وقدسية الأوطان.

ويذكر لنا التاريخ العربي العديد من أسماء الشعراء المشارقة ممن سخروا يراعهم الشعري للذود عن ثورة الشعب الجزائري ، تأريخا وتعريفا وإشادة ببطولاتها و أمجاد ثوارها في كامل ربوع الوطن الجزائري، ونذكر منهم: " **محمد التهامي، يوسف محمد الجندي، حسين فتح الباب، أحمد حسين عطا الله** من (**مصر**) ، **و سليمان العيسى** من(**سوريا**)" ،وغيرهم من الشعراء المشارقة اللامعين في سماء الشّعر العربي ، و الذين لم يبخلوا يوما على الثورة الجزائرية بشعرهم في كلّ المحافل القومية.

فهذا الشاعر المصري "عبد الباري أبو العينين يوسف" في قصيدة عنوانها "الجزائر" المنشورة في صحيفة " الشعب" 8 يناير 1958 من ديوان " أشواق عربية" يعبر بصدق فني عن حبه الكبير للجزائر ، وأنها منطلق الثورة والثوار والتاريخ يسجل سنوات كفاحها ضد المستعمر الفرنسي ، وأن جميع الدول العربية تهتف باسمها ، وتكبر بصور كفاحها من أجل الحرية ، فيقول:

حي الجزائر معقل الثوار　　　حصن العروبة موطن الأحرار

حي الجزائر في خضم كفاحها　　　واكتب لها التاريخ بالأنوار

واهتف لها في كل أرض حرة　　　وانسج لها حللا من الإكبار[1]

والشاعر المصري" محمد التهامي" نجده يخلد مختلف بطولات الثوار الجزائرين في قصيدة عنوانها" بطل الجزائر " سنة 1956

والتي نشرت في صحيفة " الشعب " سنة 1958

في ديوان " أشواق عربية" فيقول:

في الهول في لهب المجازر　　　ألقاك يا بطل الجزائر

ألقاك مرفوع الجبين　　　مخضب الجنبين هادر

ألقاها بالجرح العميق　　　وبالدم المهراق ساخر

ألقاك تزأر في المروج　　　الخضر في جوف المغاور

ألقاك للزرع المجنح　　　في مجال الموت قاهر

[1] –حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر ، ط 1، 2005م، ص 112.

ألقاك تقتل أو تموت وأنت في الحالين ظافر [1]

أما الشاعر" أحمد عبد المعطي حجازي" فنجد في قصيدته " أوراس " يقول:

ماأعظمه يوم الثورة

تهتز الأعماق الحرة

تهوي مدن ، يهمي مطر، تنمو زهرة

تتعارك مخلوقات النور ، ومخلوقات الحفرة [2]

أما الشاعر التونسي" سليمان العسيى" يرى أن هذه السجينة" جميلة بوحيرد" التي تحولت قضيتها إلى رمز للتصدي والمواجهة العربية للاستعمار تختزن في رمزيتها سير البطولة العربية، يقول:

أين مني جميلة ؟ تزار السا حات من صمتها بألف حداء

أي سر في الصمت يرسله الأبطال نارا، وصاعقات فداء !

عظمت صيحة الفداء ،وعزت أن توارى في دامس الظلماء

هي فينا سحر القصيد إذا غنى ، ووهج النارية البتراء

هي في غضبة الملايين تهوى فوق جلادها سياط ازدراء

[1] –حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر ، ط 1، 2005م، ص 88.

[2] –أحمد عبد المعطي حجازي: الديوان ، دار العودة ، بيروت، لبنان ، ط 3، 1982م، ص 401.

1-4-عند شعراء الجزائر

لقد تنوعت المشاهد البطولية في عيون الشّعر العربي من خلال وصفه لمختلف نماذج الجهاد وبطولات نضال الثوار الجزائرين بداية من استشهاد البطل الرمز"**أحمد زبانه**" إلى تحدي" **العربي بن مهيدي** " لجنرالات فرنسا ووصولا إلى مشاهد تحديات المرأة الرمز" **جميلة بوحيرد** " التي ألهمت الشعر العربي باستماتتها في سبيل الحرية، وصبرها على البلاء من كلّ حدب وصوب ، كل تلك النماذج كانت عونا خصبا للشاعر العربي من خلال التأريخ لبطولاتهم والتمثيل لصبرهم في سبيل كرامة الشعب الجزائري « فالشعر أولا لم يكن كذلك شعرا بحق إلاّ أنه ثوري بأوسع معنى للكلمة ، و كل عمل شعري يستحق هذا الوصف بجدارة عما ينطوي على رؤية للواقع والشعر،ثانيا هو الضمان الأدبي لاستمرار الفعل الثوري » [1]

كان للأدب العربي موعده المحتوم مع الثورة التي فتحت بابها المعطاء وفوق الترَبة المسقية بدماء الثوار التي حرثت بحد السيف ولغة القلم،والتي تبنت ثورة شعب أراد الحرية والاستقلال، بكلّ جوارحه وقرائحه – عن المستعمر الفرنسي– وبكل مداها وعمقها وبجميع دلالاتها وأبعادها، فواكب قسما كبيرا من هذا الأدب عن كثب تجربة الثورة الجزائرية محاولا جهده تجسس هموم ومطامح الجماهير العربية التي أوقدت لهيبها هذه الثورة الفتية فتفاعل الشعراء معها لتصوير بطولاتها وملامحها ، وترصد أحداثها و وقائعها ومواقفها وتجسيد شهامتها وإنسانيتها بنبرات فنية تتفاوت الانفعال والحماس والتفاعل، فعنف الثورة كان أعمق وأجدى بيانا من بيان الفن الشعري نفسه.

فهذا الشاعر الجزائري" **محمد الأخضر السائحي**" في ديوانه " **همسات وصرخات**" نجده يتوعد فرنسا بالنصر وأنها لاتستطيع أن تنجو بفعلتها الإجرامية في حق الجزائرين العزل فيقول:

---

[1] –أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر من 1954 حتى الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 1، الجزائر، ، 1985م، ص 100.

وثبتنا فلا تطمعي في النجاة وثرنا فلا تحلمي بالبقاء

حلفا سنمحق كل الطـــــغاة وإن نحن متنا ولم نرجع

فإنا وقفنا ولم نركـــــــــــــع وسوف أقول ، وقولي معي

لأرض الجزائر طول البقاء [1]

ويذهب الشاعر الجزائري" **محمد الصالح باويه** " في ديوانه " أغنيات نضالية "

ليصور لنا الثورة الجزائرية بلون الدم المراق في كامل ربوعها، وأن الجزائرية هي من كانت تدفع بأبنائها إلى ساحات الشهادة،وتحمسهم للثورة بكل الوسائل المتاحة لديهم من رشاش ومدفع وفأس فيقول:

يا جنون الثورة الحمراء يجتر كياني ومغارات ربوعي

أقسمت أمي بقيدي بجرحي، سوف لاتمسح من عيني دموعي

أقسمت أن تمسح الرشاش والمدفع والفأس بأحقاد الجموع [2]

وفي ملحمة طويلة يتحدث الشاعر" أبو القاسم خمار" عن الشعب الجزائري مستعرضا كفاح المغرب العربي ، عنوان هذا الشعر " ظلال وأصداء":

ثار في ثورة إذا قيس بركان بهزات نارها كان يسرا

ثورة تحمل الإبادة للبؤس وللعدل والسيادة بشرى [3]

وفي قصيدة (سلاحنا) يتحدث الشاعر" صالح خرفي " عن فرنسا و نضال الجزائر:

ملأت الأرض والأجواء حديدا فكان العزم أقوى من حديد

فلسنا في الوغى جددا فتثني عزائمنا أساطيل الجنود

---

[1] –محمد الأخضر السائحي : همسات وصرخات ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط 1، 1965م ، ص 153-154.

[2] –محمد الصالح باويه : أغنية نضالية ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،ط1 ، 1970م، ص 41.

[3] –أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، ط 5، الجزائر، 2007م، ص 47.

ولاعشاق دينار فتلوى أعنتنا بوارق من وعود

ولكن عيشة الأحرار نبغي ودون بلوغها نيل الخلود

زحفنا كالأتي فكنت سدا سلي خبر الآتي مع الذود [1]

1-5- عند مفدي زكرياء

إن روح الانتماء ينتهي بالأديب إلى تسخير قلمه لمعالجة قضايا وطنه وأمته ومختلف القضايا ولعل أهم قضية هي الثورة محاولا إيجاد الحلول الفاعلة لها في إطار الحرية والعدالة والمساواة:

ومن أهم مؤشرات وخصائص الالتزام :

1. أن يسخر الأديب قلمه لمعالجة قضية وطنية
2. اقتراح الحلول الناجعة والفاعلة
3. اعتماد الضمير " نحن " الدال على الشمولية والعموم حيث يتحدث الأديب بلسان شعبه أو قومه أو أمته

وقد برزت كل هذه الخصائص والمظاهر لدى مفدي زكرياء في أشعاره وخير نموذج على ذلك قصيدة " إقرأ كتابك " الواردة في ديوان " اللهب المقدس" حيث يقول:

هدي خواطر شاعر، غنى بـــــها في (الثورة الكبرى) فقال وأسمعا

وتشوقات من حبـيس موثـــــق ما انفك صبا بالكنانة مولعـــــــا

خلصت قصائده، فما عرف البكـا يوما ولا ندب الحمى والمربعــــا

إن تدعه الأوطان كان لسانهــــــا أو تدعه الجلى، أجاب وأسرعــا[2]

من خلال هذه الأبيات، يظهر جليا أن مفدي زكرياء سخر قلمه لمعالجة قضايا وطنه، وفي اقتراحه للحلول وهي من مظاهر الالتزام يقول مفدي:

[1] – أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، ط 5، الجزائر، 2007م، ص 47.

[2]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 2007، ص 56

تلك الجزائر...تضع استقلالها اتخذت لي، مُهج الضحايا، مضعا
وإذا السياسة لم تفوض أمرهــا للنار كانت، خدعة، وتضيعـــــا[1]

حيث يقر مفدي زكرياء أن السبيل لنيل الحرية هو العمل المسلح، لأن الحرية تؤخذ ولا تعطى، وهذا هو الحل الذي اقترحه الشاعر.

1-1-شعره في الثورة الجزائرية:

إن المتصفح لأشعار مفدي زكرياء، يجدها تفيض بالروح الوطنية وبروح الانتماء، كيف لا وقد سخر قلمه للذود والدفاع عن هذا الوطن الغالي مذ أن بدأ بقرض الشعر، فلا تكاد تخلو قصائده من الغزل والمدح والثناء والإشادة والفخر والاعتزاز بكل ما هو جزائري، فتبرز غيرته على هذا الوطن تارة وسخطه وحقده على المستعمر تارة أخرى، فلا تقع عيناك إلا على معاني الكفاح والنضال مرة ومرحة أخرى على معاني البطولة والتضحية، ما يستحق أن يلقب بـ " شاعر الثورة الجزائرية" دون منازع.

فقد تغنّى بحبه وهيامه بالجزائر وفي ذلك قال:

الحب أرقني واليأس أضنــــــــاني والبين ضاعف آلامي وأحزانـــــي
والروح في حب "ليلاي" استحال إلى دمعٍ فأمطره شعري ووجدانــــــي
أساهر النجم والأكوان هامـــــــدة تصغي أنيني، بأشواق وتحنــــان
رفقا بلادي فأنت الكون أجمعـــــه لولاك كنت بلادي هالكا فانـــــي
لك الفؤاد، وبما في الجسم من رمق ومن دماء، ومن روح وجثـــمان
لك الرقاب وما في الكون من نفـس مُدِّي يمين الوفا، يا عين انساني
لك الحياة، فجودي بالوصال، فمــا أجلى وصالك في قلبي ووجداني[2]

---

[1]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص57

[2]- مفدي زكرياء: ديوان " أمجادنا تتكلم"، مؤسسة مفدي زكرياء، تح بن حاج بلكبير حمودة ، الجزائر، 2000، ط ت ، ص 57

وقبل الحديث عن رحلة الشاعر مع الثورة الجزائرية، لا بد أن نشرع في الحديث عن وطنية الشاعر، وحبه الخالص لوطنه، ذلك لأن الدارس لشعر مفدي " يلمس في إنتاجه المبكر حبا للجزائر جارفا، وحنينا إلى وجهها الذي مازج دمه ودخل شغاف قلبه في هذه العاطفة الجياشة المتدفقة من كل قصائده، وهي تصور لنا حب شاعر حساس يعشق مواطن الجمال في وطنه، فيتغنى به جزءا جزءا وموطنا من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، ولم نر بين الشعراء من يدانيه في هذه الخصيصة " ذلك لأن مفدي كان شعاره الوحدة، وحدة الوطن ووحدة الهدف والمصير لأبناء الشعب الجزائري، ومن ثم تغنّى بالقطر الجزائري كله ليبرهن على دعوته المنبثقة عن حبه للجزائر جملة وتفصيلا.[1]

وإذا كان التغزّل بالجنس الآخر نمطا تقليديا عند الشعراء الشباب في باكورة إنتاجهم أو في بداية حياتهم الأدبية، فإن مفدي تنزّه وهو يدافع عن التغزّل في الجنس الآخر، ودفعه ذلك الحب وذلك الإعجاب بالجزائر إلى أن يتغزّل بها ويضرب صفحا عن التغزّل بغيرها، وكأنه كان يتمثل في هذا المنحى الذي نحاه والمسلك الذي سلكه لنداء صديقه وزميله الشاعر (رمضان محمود) حيث قال: " من أراد منكم التغزّل فليتغزّل بوطنه الجميل" الذي أخذ الألباب ولفتت الأنظار بجماله الفاتن حتى رقعت فرنسا في غرامه.[2]

ومن شعره في حبه للجزائر قوله:

رسول الهوى بلِّغ سلامي إلى سلمـــى وَعاطَ حَمِيَا ثغرَها الباسِم الألَمـــى
وناجَ هواها علَّ في الغيب رحمـــــة تدارَكَ هذا القلب أن ينقضي هُمـا
وبث شكاة من مشـــــوق متـــــيم له كبد حرى تضيق به غمـــــا

فمن هي " سلمى " يا ترى التي شغف حبها، وتيمه عشقها ؟

بلادي، بلادي ما ألذّ الهوى وما أمرّ كؤوس الحب ممتزجا سما

---

[1]– حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994، ص 59

[2]– المرجع نفسه، ص 59

بلادي، ألا عطف علي بنظره حنانيك ما هذا السلو ولا إثمــا[1]

هكذا عن طريق الرمز " سلمى " استطاع مفدي أن يعرب عن حبه الجارف وحنينه القوي إلى بلاده التي أحبها إلا أن الحب نغصه وجود الدخيل الذي رمز إليه باليم الذي كدح القوي الحب بمرارته، لذا فالشاعر يطلب عطف بلاده التي أحبها منذ فتح عينيه على هذا الوجود، ولم يسبق له أن أحب غيرها.[2]

فالشاعر في هذه الفترة أن لا يتلاعب وغراب الليل في وطنه، ولا يلهو بما يلهي به أترابه لأن وطنه أسير، وأمته ثكلى تدمي بالجراح، وهذا أصبح لغراما عليه أن يتخذى سن المراهقة ويتخلص من قيود هوى النفس ليقع في غرام الوطن الثائر.

فإذا الشاعر الجزائري اعتبر العزوف عن الأغراض التقليدية شيء تقتضيه الضرورة وتفرضه المرحلة التي يمر بها الشعب الجزائري، فمفدي قد ظل يتغزل غزلا سياسيا أو بعبارة أخرى صار الغزل عنده رمزا موازيا، وإن كان يصفح بين الحين والآخر عن حبه لوطنه دوّن إلى الرمز ومن قوله:

وطـــــــــــني بالدم الزكي أفديــ كَ يمينا شريفة وعــهـــودا

وطني في هوالك أخلصت شعري وضميري ومهجتي والوجــودا

وطني أنت جنة الخلد في الأرض فهيهات في الورى أن تبيــدا

وطني إننا ضحاياك في السِّلــــم وفي الحرب بغية أن تســودا

فإذا شئت فاتخذنا سيوفــــــا واتخذنا إذا رأيت وقـــــودا[3]

أي حب وأي وفاء الذي يلحظه عند الشاعر ونجده عند الفنان الثائر، عندما يكرس نفسه وما تملك من شعر وضمير وروح، وحتى كينونته، ولا بأس أن يذهب فداء لوطنه الذي

---

[1]– يحيى الشيخ الصالح: شعر الثورة الجزائرية عند مفدي زكرياء، دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط 1، 1987، ص 66

[2]– حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994، ص 61

[3]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 63

أحبه، وأكثر من هذا أيها الوطن، ففي سبيل الوطن يصبح كل شيء لا معنى له عند الشاعر حتى تصير النفوس سيوفا والأجسام وقودا تتلظى سعير نيران الحرب في ساحة الشرف والقداسة، فداء الوطن وطلبا للحرية.[1]

وإلى جانب الحب للوطن يتعز الشاعر طربا لما حققه الأجداد من الانتصارات، ولما توصلوا إليه في عالم الحضارة، ومن هذا المنطلق يرفض الشاعر الحياة في ظل العبودية ويحفز قومه إثارة النخوة العربية ليمضوا نحو العلاء والسؤدد.

نحن قوم جدودنا ملكوا الدنيـــا فهيهات أن نعيش عبيـدا
صيد في الدماء من نخوة الملك ينادي بنا العلا والصعودا[2]

وإذا عرفنا حب الشاعر الصادق لوطنه، فإننا لا نرتاب عن

ما نجده يتغنى ببطولات شعبه ويسجل انتصاراته التي كان يحققها على الأعداء، وبذلك كان له فضل الريادة في الحلم بالثورة فارتفع إلى مستوى النبوءة، ثم واكب مسيرتها المظفرة لينقل صورا نادرة من ملامحها البطولية، فكان ممن كتب من قلب الثورة ومن صميم جو الثورات التي سبقتها منذ سنوات.

ويقول مفدي زكرياء في حثه لدعم الثورة واستنهاضا للهمم والعزم على مواصلة الكفاح في قصيدة بعنوان: " فلا عز ... حتى تستقل الجزائر "

مددنا خيوط الفجر...قم نضح الفجرا وصنعا كتاب البعث ثم ننشراالسفـــرا
وغضنا بصدر الغيب، نجاو ضميره ونقرأ من عدل السماء به، سطـــــرا
ودسنا غرور الدهر، في كبريائـــه فصَعّر خدا !وانحنى، يطلب العــــذرا

1– حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994، ص 64
2– المرجع نفسه، ص 147

وسقنا سفين (الوعد) حمرا شراعها يوجهها للنصر، من (وعد) النصـــرا[1]

ونجد أن الشاعر نشأ وترعرع متبينا قضية الجزائر لكل مداها وعمقها وبجميع دلالاتها وأبعادها، فعاش تجربة الثورة متحمسا لآلام وآمال الجماهير الشعبية الكادحة التي أوقدت لهيبها، ورفعت مستعملها فصور ذلك كله بواقعية حية وإخلاص عميق مساهما في خدمة قضية الوطن الكبرى.

وقال مفدي زكرياء في الذكرى الثامنة والسبعين لوفاة الأمير "عبد القادر" الذكرى السادسة لاندلاع الثورة:

فإذا ذكر التاريخ أبطال أمــــــــة يخر لذكراك الزمان، ويسجـــــــد
وإن تذكر الدنيا زعيـــــــــما مخلد فإنك في الدنيا الزعيم المخلـــــد
أثرت على الضاملين حربا لم تزل عليهم تلظى كالجحيم، وتوقـــــــد
فما خمدت نيران حربك لحظــــــة وهيهات، نيران الجزائر تخمــــــد
حديثك تتلوه البنادق في الوعـــــي نشيدا، يغنيه الزمـــــــان وينشد
وجيشك عبد القادر اليوم ظافــــــر يحطم هامات الطغاة ويحصـــــــد
يقدس فيك الشعب أعظم قائــــــد همام، له الأجيال تروي وتشهـــد[2]

استطاع مفدي أن يرثي الأمير عبد القادر، ولكن رثاء يختلف عن الرثاء الذي عهدناه عند غيره من الشعراء، لم يقف فيه على البكاء وإنما لمسانا من خلاله دور الأمير عبد القادر ومدى تأثيره في الثورة الجزائرية وتبعا لذلك الشاعر كيف يصور استمرارية الثورة، وأصالة الشعب الجزائري فيها.[3]

---

[1]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 255

[2]- مفدي زكرياء: ديوان " أمجادنا تتكلم"، مؤسسة مفدي زكرياء، تح بن حاج بلكبير حمودة ، الجزائر، 2000، ط ت ، ص 58

[3]- حواس بري: شعر مفدي زكرياء، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994 ، ص 19

وإذا كان الشعراء كما عرفوا يبكون أن يتباكون لعزيز فقدوه أو لصاحب مال أضاعوهن بأفول نجميه ورحيله من هذه الدار إلى الدار ألأخرى، فإن مفدي لم يعرف البكاء إلى نفسه سبيلا إلا على الجزائر التي ظلت ردحا من الزمن تتلظى سعير الحرب، ولذلك كانت الجزائر بالنسبة إليه هي الأمل الهدف والرجاء " ولذلك فإن عناصر المضمون في شعره تتميز عن كثير من الشعراء العرب الذين عاصر وإذ تخلو أشعاره من اليأس والقنوط والإحباط وتكريس السودانية.[1]

وأما ألحظه في شعر مفدي زكرياء أنه لم يتخل عن ذكر الثورة الجزائرية مهما كانت المناسبة، فهو لا يستطيع التخلص من ذكرها، حيث أحبها حبا قويا، حتى أدى به ذلك إلى أن يكتب النشيد الرسمي للثورة الجزائرية ما دام هو شاعر ثورة المليون والنصف مليون شهيد بدون منازع، ومنه يقول:

قسما بالنازلات الماحقـات والدماءالزاكيات الطاهـــــــرات

والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقـــات

نحن ثرنا فحياة أو ممـات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائـــــر

فاشهدوا ... [2]

أما فيما يخص النشيد الرسمي للعلم الجزائري، فقد كتبه بدمه وأهدافه للحكومة الجزائرية.

هيا هيا قفوا

وارفعوا العلم...

وانشدوا واهتفوا

واعزفوا النغم... مدافع

[1]– حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994، ص 97

[2]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 61

اقصفوا المدافع...تسمع الأمم.[1]

1-2- شعره في الثورة الجزائرية:

إن المتصفح لأشعار مفدي زكرياء، يجدها تفيض بالروح الوطنية وبروح الانتماء، كيف لا وقد سخر قلمه للذود والدفاع عن هذا الوطن الغالي مذ أن بدأ بقرض الشعر، فلا تكاد تخلو قصائده من الغزل والمدح والثناء والإشادة والفخر والاعتزاز بكل ما هو جزائري، فتبرز غيرته على هذا الوطن تارة وسخطه وحقده على المستعمر تارة أخرى، فلا تقع عيناك إلا على معاني الكفاح والنضال مرة ومرحة أخرى على معاني البطولة والتضحية، ما يستحق أن يلقب بـ " شاعر الثورة الجزائرية" دون منازع.

فقد تغنّى بحبه وهيامه بالجزائر وفي ذلك قال:

الحب أرقني واليأس أضنـــــــاني والبين ضاعف آلامي وأحزانـــي
والروح في حب "ليلاي" استحال إلى دمعٍ فأمطره شعري ووجدانـــــي
أساهر النجم والأكوان هامـــــــدة تصغي أنيني، بأشواق وتحنـــان
رفقا بلادي فأنت الكون أجمعـــــه لولاك كنت بلادي هالكا فانـــي
لك الفؤاد، وبما في الجسم من رمق ومن دماء، ومن روح وجثـــمان
لك الرقاب وما في الكون من نفس مُدِّي يمين الوفا، يا عين انساني
لك الحياة، فجودي بالوصال، فمـــا أجلى وصالك في قلبي ووجداني[2]

وقبل الحديث عن رحلة الشاعر مع الثورة الجزائرية، لا بد أن نشرع في الحديث عن وطنية الشاعر، وحبه الخالص لوطنه، ذلك لأن الدارس لشعر مفدي " يلمس في إنتاجه المبكر حبا للجزائر جارفا، وحنينا إلى وجهها الذي مازج دمه ودخل شغاف قلبه في هذه العاطفة الجياشة المتدفقة من كل قصائده، وهي تصور لنا حب شاعر حساس يعشق مواطن

[1]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 351

[2]- مفدي زكرياء: ديوان " أمجادنا تتكلم"، مؤسسة مفدي زكرياء، تح بن حاج بلكبير حمودة ، الجزائر، 2000، ط ت ، ص 57

الجمال في وطنه، فيتغنى به جزءا جزءا وموطنا من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، ولم نر بين الشعراء من يدانيه في هذه الخصيصة " ذلك لأن مفدي كان شعاره الوحدة، وحدة الوطن ووحدة الهدف والمصير لأبناء الشعب الجزائري، ومن ثم تغنّى بالقطر الجزائري كله ليبرهن على دعوته المنبثقة عن حبه للجزائر جملة وتفصيلا.[1]

وإذا كان التغزّل بالجنس الآخر نمطا تقليديا عند الشعراء الشباب في باكورة إنتاجهم أو في بداية حياتهم الأدبية، فإن مفدي تنزّه وهو يدافع عن التغزّل في الجنس الآخر، ودفعه ذلك الحب وذلك الإعجاب بالجزائر إلى أن يتغزّل بها ويضرب صفحا عن التغزّل بغيرها، وكأنه كان يتمثّل في هذا المنحى الذي نحاه والمسلك الذي سلكه لنداء صديقه وزميله الشاعر (رمضان محمود) حيث قال: " من أراد منكم التغزّل فليتغزّل بوطنه الجميل" الذي أخذ الألباب ولفتت الأنظار بجماله الفاتن حتى رقعت فرنسا في غرامه.[2]

ومن شعره في حبه للجزائر قوله:

رسول الهوى بلّغ سلامي إلى سلمـــى　　　　وَعاطَ حَمِيَا ثغرَها الباسِمِ الألَمــى

وناجَ هواها علَّ في الغيب رحمـــــة　　　　تدارَكَ هذا القلب أن ينقضي هُمـا

وبث شكاة من مشـــــوق متـــــيم　　　　له كبد حرى تضيق به غمـــــا

فمن هي " سلمى " يا ترى التي شغف حبها، وتيمه عشقها ؟

بلادي، بلادي ما ألذّ الهوى وما　　　　أمرّ كؤوس الحب ممتزجا سما

بلادي، ألا عطف علي بنظره　　　　حنانيك ما هذا السلو ولا إثمـا[3]

هكذا عن طريق الرمز " سلمى " استطاع مفدي أن يعرب عن حبه الجارف وحنينه القوي إلى بلاده التي أحبها إلا أن الحب نغصه وجود الدخيل الذي رمز إليه باليم الذي كدح القوي

---

[1]– حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994، ص 59

[2]– المرجع نفسه، ص 59

[3]– يحيى الشيخ الصالح: شعر الثورة الجزائرية عند مفدي زكرياء، دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط 1، 1987، ص 66

الحب بمرارته، لذا فالشاعر يطلب عطف بلاده التي أحبها منذ فتح عينيه على هذا الوجود، ولم يسبق له أن أحب غيرها.[1]

فالشاعر في هذه الفترة أن لا يتلاعب وغراب الليل في وطنه، ولا يلهو بما يلهي به أترابه لأن وطنه أسير، وأمته ثكلى تدمي بالجراح، وهذا أصبح لغراما عليه أن يتخذى سن المراهقة ويتخلص من قيود هوى النفس ليقع في غرام الوطن الثائر.

فإذا الشاعر الجزائري اعتبر العزوف عن الأغراض التقليدية شيء تقتضيه الضرورة وتفرضه المرحلة التي يمر بها الشعب الجزائري، فمفدي قد ظل يتغزل غزلا سياسيا أو بعبارة أخرى صار الغزل عنده رمزا موازيا، وإن كان يصفح بين الحين والآخر عن حبه لوطنه دوّن إلى الرمز ومن قوله:

وطـــــــــــــني بالدم الزكي أفديــ ... كَ يمينا شريفة وعــهـــــودا
وطني في هوالك أخلصت شعري ... وضميري ومهجتي والوجــودا
وطني أنت جنة الخلد في الأرض ... فهيهات في الورى أن تبيـــدا
وطني إننا ضحاياك في السِّلــــــم ... وفي الحرب بغية أن تســودا
فإذا شئت فاتخذنا سيوفــــــا ... واتخذنا إذا رأيت وقــــــودا[2]

أي حب وأي وفاء الذي يلحظه عند الشاعر ونجده عند الفنان الثائر، عندما يكرس نفسه وما تملك من شعر وضمير وروح، وحتى كينونته، ولا بأس أن يذهب فداء لوطنه الذي أحبه، وأكثر من هذا أيها الوطن، ففي سبيل الوطن يصبح كل شيء لا معنى له عند الشاعر حتى تصير النفوس سيوفا والأجسام وقودا تتلظى سعير نيران الحرب في ساحة الشرف والقداسة، فداء الوطن وطلبا للحرية.[3]

[1]– حواس بري: شعر مفدي، دراسة وتقويم، ص 61

[2]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 63

[3]– حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ص 64

وإلى جانب الحب للوطن يتعز الشاعر طربا لما حققه الأجداد من الانتصارات، ولما توصلوا إليه في عالم الحضارة، ومن هذا المنطلق يرفض الشاعر الحياة في ظل العبودية ويحفز قومه إثارة النخوة العربية ليمضوا نحو العلاء والسؤدد.

نحن قوم جدودنا ملكوا الدنيـــا فهيهات أن نعيش عبيـدا
صيد في الدماء من نخوة الملك ينادي بنا العلا والصعودا[1]

وإذا عرفنا حب الشاعر الصادق لوطنه، فإننا لا نرتاب عن

ما نجده يتغنى ببطولات شعبه ويسجل انتصاراته التي كان يحققها على الأعداء، وبذلك كان له فضل الريادة في الحلم بالثورة فارتفع إلى مستوى النبوءة، ثم واكب مسيرتها المظفرة لينقل صورا نادرة من ملامحها البطولية، فكان ممن كتب من قلب الثورة ومن صميم جو الثورات التي سبقتها منذ سنوات.

ويقول مفدي زكرياء في حثه لدعم الثورة واستنهاضا للهمم والعزم على مواصلة الكفاح في قصيدة بعنوان: " فلا عز ... حتى تستقل الجزائر "

مددنا خيوط الفجر...قم نضح الفجرا وصنعا كتاب البعث ثم ننشرالسفـــرا
وغضنا بصدر الغيب، نجاو ضميره ونقرأ من عدل السماء به، سطـــــرا
ودسنا غرور الدهر، في كبريائـــه فصَعّر خدا !وانحنى، يطلب العـــذرا
وسقنا سفين (الوعد) حمرا شراعها يوجهها للنصر، من (وعد) النصـــرا[2]

ونجد أن الشاعر نشأ وترعرع متبينا قضية الجزائر لكل مداها وعمقها وبجميع دلالاتها وأبعادها، فعاش تجربة الثورة متحمسا لآلام وآمال الجماهير الشعبية الكادحة التي أوقدت لهيبها، ورفعت مستعملها فصور ذلك كله بواقعية حية وإخلاص عميق مساهما في خدمة قضية الوطن الكبرى.

[1]– مفدي زكرياء: ديوان اللهب المقدس، ص 147.

[2]– المرجع نفسه ، ص 255.

وقال مفدي زكرياء في الذكرى الثامنة والسبعين لوفاة الأمير "عبد القادر" الذكرى السادسة لاندلاع الثورة:

فإذا ذكر التاريخ أبطال أمـــــــــة   يخر لذكراك الزمان، ويسجـــــــد

وإن تذكر الدنيا زعيــــــــما مخلد   فإنك في الدنيا الزعيم المخلـــــــد

أثرت على الضاملين حربا لم تزل   عليهم تلظى كالجحيم، وتوقـــــــد

فما خمدت نيران حربك لحظـــــة   وهيهات، نيران الجزائر تخمـــــــد

حديثك تتلوه البنادق في الوعـــــي   نشيدا، يغنيه الزمـــــــان وينشد

وجيشك عبد القادر اليوم ظافـــــر   يحطم هامات الطغاة ويحصـــــــد

يقدس فيك الشعب أعظم قائـــــد   همام، له الأجيال تروي وتشهـــد[1]

استطاع مفدي أن يرثي الأمير عبد القادر، ولكن رثاء يختلف عن الرثاء الذي عهدناه عند غيره من الشعراء، لم يقف فيه على البكاء وإنما لمسانا من خلاله دور الأمير عبد القادر ومدى تأثيره في الثورة الجزائرية وتبعا لذلك الشاعر كيف يصور استمرارية الثورة، وأصالة الشعب الجزائري فيها.[2]

وإذا كان الشعراء كما عرفوا يبكون أن يتباكون لعزيز فقدوه أو لصاحب مال أضاعوهن بأفول نجميه ورحيله من هذه الدار إلى الدار ألأخرى، فإن مفدي لم يعرف البكاء إلى نفسه سبيلا إلا على الجزائر التي ظلت ردحا من الزمن تتلظى سعير الحرب، ولذلك كانت الجزائر بالنسبة إليه هي الأمل الهدف والرجاء " ولذلك فإن عناصر المضمون في شعره تتميز عن كثير من الشعراء العرب الذين عاصر وإذ تخلو أشعاره من اليأس والقنوط والإحباط وتكريس السودانية.[3]

وأما ألحظه في شعر مفدي زكرياء أنه لم يتخل عن ذكر الثورة الجزائرية مهما كانت المناسبة، فهو لا يستطيع التخلص من ذكرها، حيث أحبها حبا قويا، حتى أدى به ذلك إلى

[1]– مفدي زكرياء: ديوان : أمجادنا تتكلم، ص 58

[2]– حواس بري: شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ص 19

[3]– المرجع نفسه ، ص 97

أن يكتب النشيد الرسمي للثورة الجزائرية ما دام هو شاعر ثورة المليون والنصف مليون شهيد بدون منازع، ومنه يقول:

قسما بالنازلات الماحقــات   والدماءالزاكيات الطاهـــــــرات

والبنود اللامعات الخافقات   في الجبال الشامخات الشاهقــات

نحن ثرنا فحياة أو ممـات   وعقدنا العزم أن تحيا الجزائــــر

فاشهدوا ... [1]

أما فيما يخص النشيد الرسمي للعلم الجزائري، فقد كتبه بدمه وأهدافه للحكومة الجزائرية.

هيا هيا قفوا

وارفعوا العلم...

وانشدوا واهتفوا

واعزفوا النغم... مدافع

اقصفوا المدافع...تسمع الأمم. [2]

2 – مفهوم الشعر الثوري:

ومن هذا المبدأ انطلق مفدي زكريا في نظم بعض القصائد التي كانت إصلاحية بالدرجة الأولى تتضمن جميع الآراء والأصوات التي تنادي بتغيير الواقع الاجتماعي، السياسي والثقافي وكذا الديني، ثم سرعان ما اشتدت وتبلورت خاصة عند انضمام الشاعر إلى حزب نجم شمال إفريقيا بالمبدأ الثوري الوحيد على الساحة الجزائرية[3]

2-1 مفهوم الثورة :

- **لغة:** هي الهيجان، الغضب والوثوب والظهور.

---

[1]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 61

[2]– المرجع نفسه، ص 64

[3]– محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 351.

– **إصطلاحا:** هي عدم الرضا بوضع ما والتعبير عن ذلك بالرفض والهيجان وذلك بالقيام برد عنيف، أما في المجال السياسي فيستخدم مصطلح الثورة للتعبير عن تحرك عنيف يقوم به شعب ما ضد سلطة ما لا تمثل ذلك الشعب ولا تلبي رغباته، وذلك قصد الإطاحة بها وبنظامها واستبدالها بسلطة جديدةونظام جديد. ومن جهة أخرى يحمل مصطلح الثورة معنى الرفض منطلقا، والتغيير الجذري الشمولي هدفا، ولذلك فإنه يقترب من الإصلاح من حيث هما أسلوبان إراديان للتغيير.

– فالإصلاح يعني رفض شيء والإبقاء على شيء آخر، فهو ترقيع وترميم لهيكل متصدع، بينما الثورة هدم من الأساس لإعادة البناء من جديد، ولذلك يلاحظ في جميع الثورات أنها تبدأ بالإصلاح ثم تنقلب ثورة عندما لا يحقق الإصلاح الهدف المنشود

– ومن هذا المبدأ انطلق مفدي زكريا في نظم بعض القصائد التي كانت إصلاحية بالدرجة الأولى تتضمن جميع الآراء والأصوات التي تنادي بتغيير الواقع الاجتماعي، السياسي والثقافي وكذا الديني، ثم سرعان ما اشتدت وتبلورت خاصة عند انضمام الشاعر إلى حزب نجم شمال إفريقيا بالمبدأ الثوري الوحيد على الساحة الجزائرية[1].

2-2 الشعر الثوري:

لقد تعددت مفاهيم الثورة ومضامينها وأهدافها"فالثورة في الشعر ليست موضوعا بقدر ما هي موقف يقفه الشاعر من مختلف القضايا وطابع خاص يطبع به شعره، وإن كانت تلك القضايا في مجملها قضايا وطنية، لكن الغرض الذي يعبر فيه الشاعر عن ثوريته ليس دائما ما يسمى بغرض الشعر الوطني بل تظهر النزعة الثورية حتى في أغراض أخرى بعيدة في شكلها عن الوطنية"[2]

فالهدف من الشعر الثوري تحفيز النفوس وشحن الهمم والدفع بها من أجل التمرد على الأوضاع المختلفة التي تثقل كاهل الشعوب فتقف موقفا واحدا لمواجهتها.

[1]– محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 351.

[2]– محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 351

وباعتبار الكلمة أقوى من السيف يقوم الشاعر بنظم تلك الكلمات وتوجيهها إلى عامة الناس قصد إحياء الروح الوطنية الموجودة في نفس كل فرد، ويكون ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة"ولعل الثورة الجزائرية خير مثال على ذلك، إذ لعبت الأغاني الشعبية والأناشيد الوطنية دورا كبيرا في تحميس الأبطال والجماهير الشعبية وتمجيد قادة وضباط وجنود جيش التحرير الوطني والرفع من شأنهم"[1]

فقد لعب الشعر الثوري دورا هاما في قيام الثورات في مختلف البلاد العربية من حيث تصوير الأحداث والتعليق عليها لتكون مصدرا حيّا وشاهدا لترسيخ الأحداث.

3-الحس الثوري:

إن الاستعمار الفرنسي للجزائر كان من أهم أسباب نمو الحس السياسي الوطني عند الشعب الجزائري، مما خلق ثقافة الرفض والتحرر ونبذ الخضوع، فقد كان رد فعل الشعب الجزائري للدفاع عن بلاده بحمل السلاح تارة وبالقلم تارة أخرى، وقد ساهمت في تحرير البلاد بالخصوص الفئة المثقفة التي حاولت بأقلامها نشر الوعي السياسي بضرورة التصدي لهذا الاستعمار الظالم، وقد كان الشاعر مفدي زكريا أحد الذين ذادوا بالكلمة عن الوطن بما أنتج من شعر وطني تحرري رافضا ومتمردا على كل أنواع العبودية والاحتلال. ورفض الذل والطغيان في شعر مفدي يعد أحد مقومات الحس الثوري الذي تولد في نفس مفدي، إذ ترجم بصدق وعن قرب الويلات التي عانى منها الشعب الجزائري مؤكّدا أن ما أخذ بالقوة لن يسترجع إلا بالقوة، وقد كانت غايته التصريح بضرورة مواجهة الاستعمار وطرده بكل الوسائل، لذلك اخترنا الشاعر مفدي زكريا الذي اتخذ من الكلم سلاحا باعتباره رمزا من رموز الاتجاه الثوري لما بثه بشعره الثوري من حماس في نفوس الجزائريين.

[1]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 351

3-1- مصادر ومظاهر الحس الثوري عند مفدي زكرياء:

خلال عقد الثلاثينات عرفت الجزائر تواترت إجتماعية سياسية واقتصادية، تسببت في ظهور شبح المجاعة الفقر والبطالة ، بعد أن حرم الشعب الجزائري من أراضيه وجرد من أملاكه ، فكثرت الهجرات إلى تونس والمغرب و فرنسا هروبا من ذلك الاستغلال البشع الذي قامت به فرنسا اتجاه أبناء الجزائر، غير أن المجتمع الجزائري لم كله من الفلاحين وإنما هناك فئة مثقفة تلقت تعليمهاعلى يد مشايخ جزائرية وأخرى غربية في المدارس الفرنسية ثم واصلت دراستها في معاهد البلدان المجاورة كالزيتونة والقيروان والأزهر... وحتى في الحرمين الشريفين، ثم عادوا إلى الوطن الجزائر لينشروا مبادئ الاصلاح واليقظة القومية ،فبدأت تظهر الأحزاب والجمعيات والجرائد والمظاهرات الرافضة للسياسة الاستعمارية، إذ كانت تقوم الجمعيات والأحزاب بمحاوبة تحريك الشعب الجزائري وتوعيته بضرورة رفض الظروف القاسية وإمكانية تغييرها إلى الأحسن خاصة حزب نجم شمال إفريقيا الذي تبنى الإتجاه الثوري الصرف، فأخذت الاحتجاجات والاضطرابات تعم مدن الجزائر الواحدة تلو الأخرى كأحداث قسنطينة وسطيف وسيدي بلعباس مما جعل بعض الفرنسيين لايصدق أن الجزائرين الراضخين والموالين لسلطتها أصبحوا يشكلون خطرا عليها، فقامت بقتل واعتقال النخب المحركة لهذه الاحتجاجات واطلاق مشاريع لتهدئة الوسط الجزائري كمشروع فيوليت ، غير أن هذا لم يرض طموح الجزائريين وتأكدوا أن وعود فرنسا تتحقق فقط على الورق، ومن هنا برزت الجبهة الشعبية التي علق عليه الجزائريون آمالا كبيرة لتحقيق طموحاتهم.[1]

وقد كان مفدي أحد محركي الحركة الشعبية إذ " حاول أن يجعل من الأقلام الجادة مجاهدة تعمل على تنوير العقول التي حجب الاستدمار عنها نور العلم وبين أن جهاد القلم لا يقل في قيمته عن دور البندقية والرصاصة ، ولذا انحنى باللائمة على من اكتفى بالقول دون أن يعمل مجتهدا على تحرير وطنه [2]

1- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية"1930-1945"،ج3 ، ص 37،55

2- حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994، ص41

فمفدي تشرب حب الوطن على يد مشايخه مما جعله يفتخر بوطنه ويدعو إلى التضحية في سبيله، وحاول أن يحرك الروح الوطنية في وسط الشباب بالكلمة خاصة فنظم في الكثير من الأغراض عن حب الجزائر والتعلق الشديد والاستعداد للتضحية في سبيلها مغازلا إياها في صورة امرأة ملكت قلبه فهام بها وأصبح لايهم إلا أمرها، فيصبغ عليها صفات الحسن و الفتنة والجمال ويوغل في وصف نفسه المعذبة وما يلقاه من الألم والوجد في سبيل محبوبته، مستعملا الرمز والتمويه اتقاء اضطهاد المستعمر بحيث لا يصرح بتعلقه بالجزائر أو بقضية وطنية مثل الحرية، وإنما يجسمها في شكل أنثى يذكر إسما لها، فهو يسميها في مطلع القصيدة باسم أنثى لكن عندما تخف عنه حدة التأوه والتألم يعلن عن هويتها بصورة صريحة وكأنه يحس أن الشحنة الوطنية فيه لم يعبر عنها جيدا بذلك الأسلوب الرمزي فيعدل عنه إلى التناول الصريح للقضية الوطنية فيقول ":[1]

الحب أرّقني واليأس أضناني والبين ضاعف آلامي وأحزاني

والروح في حب ليلاي استحال إلى دمع فأمطره شعري ووجداني

أساهر النجم والأكوان هامدة تصغي أنيني بأشواق وتحنان[2]

فليلى هي الجزائر و ليست ليلى الأنثى في الأبيات السابقة ، وفي قصيدة أخرى يكتب الشاعر في حديث ناعم عن سلمى واصفا مايعانيه في حبها من آلام ودموع مستعجلا ابتسام الدهر وقرب الوصل وصفاء العيش قائلا:

رسول الهوى بلغ سلامي إلى سلمى وعاط حميّا ثغرهـــــا الباسم الألمى

وناج هواها علّ في الغيب رحمـــــة تدارك هـــــذا القلب أن ينقضي همّا

فكم بحث هذا القلب من لاعج الهوى وكم بين هذا الجسم من أضلع كلمى[3]

---

[1]– يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا: دراسة فنية تحليلية، ص65

[2]– المرجع السابق ،الصفحة نفسها.

[3]– يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا: دراسة فنية تحليلية ، ص 64،67.

وسلمى هذه ليست إلا الجزائر فهو يصرح في آخر القصيدة قائلا:

بلادي بلادي ما ألّذ الهوى ومـــــا   أمرّ كؤوس الحب ممتزجـــــا سمّا
بلادي ألا عطـــــــف عليا بنظرة   حنانيك ماهذا السلوك ولا إثمـــــا
ومذ فتحت عيني المدامـــع أبصرت   هواك فلا عار عليها ولا لومـــــــا.[1]

فيصعب في البداية في هذا الشكل من الغزل السياسي أن نميز أيهما الأصل وأيهما يخدم الآخر فالعاطفتان متداخلتان، والشاعر متشبث بالمرأة والوطن في آن واحد لكن إمعان النظر نتبين عاطفة حب الوطن هي الأساس وتمثل محور الاهتمام، وذلك أن الشاعر لايعلل حبه للوطن بتعلقه بالأنثى ، وإنما يذكر أن العاطفة الوطنية هي التي أجّجت فيه نار الهيام والحب وبالتالي فلولا حبه للوطن وهيامه به لما شعر بغرام الأنثى يمتلك قلبه.

فعندما يبسط الليل أجنحته يهيج صدر الشاعر فيتذكر الأحبة وأيام الأنس فترفرف روحه منسابة خارج السجن لتحلق فوق ربوع الأحبة ثم تعود إلى الشاعر منهم بنجوى عطرة جعلت السجن كله يعبق عطرا:

ورب نجـوى كدنيا الحب دافئة   قد نام عنها رقيبي ليس يسترق
عادت بها الروح من سلوى معطرة   فالسجن من ذكر سلوى كله عبق
سلوى أناديك سلـوى مثلهم خطأ   لو أنهم أنصفوا كان اسمك الرمق
يا فتنة الـروح هلاّ تذكرين فتى   ما ضرّه السجن إلاّ أنه ومـق[2]

هذه النجوى تشغل الشاعر عن نفسه فينساق أليها بمناجاة من عنده، فيستعرض فيها الذكريات العذبة بكثير من التلذذ بعمق عذوبتها ما يلاقيه من غربة وعذاب في السجن فيقول:

سلوى حديثك يا سلوى يناغمني   والطرف يختان لا يدري به الحدق
أنفاسك الطهر كالصهباء تغمرني   دفئا ويسكرني من فرعك العرق

---

[1]- المرجع السابق، ص 67.

[2]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس،ص21،22 .

سمراء خدرها الباري وصورها   إن أرتشف ثغرها يفتك بي الأرق.[1]

وقد علق يحي الشيخ على ما كتب مفدي زكريا حيث"يعود الشاعر إلى وعيه فيتحسس ما حوله وينتصب أمامه شبح العذال يعنّفونه ويشبعونه لونا وتفريعا، فلا يجد له عذرا إلاّ أن يجيبهم بأن ما يغريه قي محبوبته تلك إنما هو جزائريتها، فهو لم يمجّد فيها إلاّ صفات الجزائر بل إنه لم يهو في تلك المحبوبة إلاّ طلعة الجزائر"فيقول:[2]

يا لائمي في هواها إنـها قبس   مـن الجزائر والأمثال تنطبق

بنت الجزائر أهوى فيك طلعتها   فكل ماضيك من أوصافها خلق[3]

فالشاعر في هذه الأبيات "يريد أن يقول أن محبوبته لم تكن إلامرآة عاكسة لوجه الجزائر فلذلك أحبها وهام بها، وعندما أحبها تعلق بالوجه المنعكس عليها وبالتالي فالجزائر هي الهدف والأساس، وليس حب الأنثى إلاّ نتيجة للحب الأول الأساسي، فهو حتى عندما يحب المرأة يحبها لجزائريتها وفقط".[4]

كمانظم مفدي زكريا قصائد أخرى في غرض الرثاء تصب في صميم الشعر الوطني الثوري متناولا شهداء الجزائر الذين قضوا نحبهم في سبيل الوطن، فهم ليسوا كغيرهم من الناس، ومفدي يرثيهم علة أنهم خالدون لم يموتوا، فهو رثاء في ظاهره تحفيز وشحن للهمم في باطنه، إذ نجده مليئا بالحماسة والقوة لا يتناول الموت العادي وإنما موت الأبطال الذي تنبعث منه حياة الوطن، فليس في موتهم ما يوحي بالأسى أو الضعف بل فيه كل معاني البطولة والتحدي، لذلك لا يفتأ الشاعر فيتحدث عنهم كما يتحدث عن أبطال أحياء يغيّرون مجرى الأحداث، فأحمد زبانة الشهيد أعدمه المستعمر الذي يقف موقف القوة في الحادثة بدل موقف الضعف عند المحكوم عليهم بالإعدام، فمن يقرأ وصف مفدي زكريا يتبين له أن زبانا وهو يرسف في أغلاله متجها نحو المقصلة، يحمل من معاني القوة والانتصار ما لا

[1]- المرجع نفسه، ص25

[2]- يحي الشيخ صالخ، شعر الثورة عند مفدي زكريا: دراسة فنية تحليلية، ص67

[3]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص26.

[4]- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا: دراسة فنية تحليلية، ص68

يحمله جلادوه الذين نفذوا فيه حكم الإعدام، فالجلاد ملثم الوجه مخافة أن يعرف، وأحمد زبانا يطلب منه أن يسفر عن وجهه ويميط عنه اللثام لأنه لا يحقد عليه، فيقول مفدي زكريا على لسانه:

وامتثل سافرا محياك جلادي ولا تلتثم فلست حقودا[1]

ثم يصف زبانا وهو متجها نحو المقصلة قائلا:

شامخا أنفه جلالا وتيها رافعا رأسه ينادي الخلودا[2].

وفي قصيدة أخرى يذهب مفدي إلى"أن فناء الجسد ليس هو الموت، بل الموت الحقيقي هو عدم الثورة والرضوخ لمهانة والذل والميت هو من يرى شرف أمته يداس ولا يثور"[3] فيقول:

عمرك الله ليس ذلك بميت وإنما الميت من يعيش ذليلا

إنما الميت من يرى شر ف الأمة نهبا ولا يزال خمولا [4]

أما المدح فكان فيمن يضحي في سبيل شعبه فمدحه ما هو إلا اعتراف بالفضل وذكر للفعل الجميل، ولايجحد الفضل إلا السفهاء وذووا النية السيئة، فهو لا يعبر عن عاطفته الخاصة ولا يتحدث باسمه وإنما باسم الجزائر وثورتها، خاصة عند اندلاع ثورة نوفمبر أين أصبح مفدي شاعرها الرسمي يتكلم بلسانها ويمثلها في المناسبات والمحافل الدولية، وفي هذا الإطار تناول المدح والتمجيد والثناء على الشخصيات العربية التي عرفت بمواقفها المشرفة اتجـاه ثورة الجزائر، فطبيعة الجزائري الثائرة جعلته يملك العزيمة القوية ولا يكترث بالمخاطر مهما عظمت واشتدت قساوتها، مما يبرز ظاهرة التحديعند الشعب

[1]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص10

[2]- المرجع نفسه، ص09

[3]- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا: دراسة فنية تحليلية، ص.78.

[4]- المرجع نفسه، ص78.

الجزائري لكل طاغية يسعى إلى الإبقاء عليه أسيرا مكبلا، فالثائر الصامد لا شيء يستهويه سوى العيش في الجبال وفي معاقل الثورة. [1]

ومن هذا الباب يرى مفدي زكريا أن الثورة وحدها كفيلة بتحرير الجزائر لأن من دخل الجزائر عن طريق النار والسلاح لن يخرج منها إلا بنفس الوسيلة[2]

فيقول:

وإذا الجزائر بالسلاح استعبدت   فمصيرها بسلاحها يتقرر [3]

والحق أن مفدي عندما يؤمن بالقوة وسيلة للتحرر فهو لا ينكر دور الشعر ولا يلغيه كلية، لكنه ينكر الاقتصار عليه وإشهاره في جميع الجبهات، فالقوة هي الأساس والشعر الثوري هو الذي يواكبها ويؤمن بها، ويكون صدى لها وهذا ما فعله مفدي إذ يقول:

على دمها تصعد الرابية   أنا ابن الجزائر من أمة

وفوق جماجمها ماضية   على ذوب أكبادها ترتقي

من النار والنور الحامية   غدوت لثورتها شاعرا[4]

وبناء على دور السلاح الأساسي في الثورة فإن الشاعر لا يسمح بالكلام عندما ينطلق السلاح، إذ ينبغي على الكلام أن يلوذ بالصمت في حضرة هذا الأخير ويتركه وحده يفصح ببيانه قائلا:

وجرى القصاص فما يتاح ملام   نطق الرصاص فما يباح الكلام[5]

---

[1] - مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي1962-1954،'دراسة موضوعية وفنية'،ص73،80.

[2] - يحي الشيخ صالخ، شعر الثورة عند مفدي زكريا: دراسة فنية تحليلية،ص.91

[3] - مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص09

[4] - المرجع نفسه ، ص09

[5] - مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص09

وحسب مفدي فإن لغة القنابل فصيحة ولوافح النيران خير ما يرفع من اللوائح لمن في عينيه ركام، وروائح البارود أقوى العطور وأعبقها فهي مسك يشمه من شدّ الزكام منخريه، والحق عندما ينطق معه الرشاش، فإن الوجوه تعنوا لها والأصنام تخر صرعى، وبذلك فهو يقول:

وضعت لمن في مسمعيه لغة القنابل في البيان فصيحةصمام

رفعت لمن في ناظريه ركـام ولوافح النيران خير لوائـح

سجرت لمن في منخريه زكـام وروائح البارورد مسك نوافح

عنت الوجوه وخرت الأصنـام والحق والرشاش إن نطقا معا[1]

إن إيمان الشعب الجزائري بالثورة والاقتناع أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة جعله يلتف حولها و يشدد علاقته بها والرغبة في طرد المستعمر وتحقيق الاستقلال، بالجهاد والتضحيات لا اعتمادا على المنظمات والمؤتمرات التي كان يعقدها الخونة، وماداموا كذلك لا ينتظر منهم خير فالجزائر لا للبشرية تنتظر منهم عدلا ولا إنصافا ولا تترك مصيرها يتقرر في المحاكم الدولية عن طريق المؤتمرات، وإنما ستقرره في محفل الموت بالدماء، ومن هذا المنطلق ينظم مفدي زكريا أبياتا معبرا فيها عن حقيقة المستعمر الغاشم قائلا:

خير البرية منهم غي لا نرتجي العدل من قوم سماسرة منتظـر

في محفل الموت لا في عقد مؤتمر مصيرنا بالدم الغالي نـقرره[2]

بالاضافة إلى إيمان الشعب بالثورة والجهاد في سبيل الوطن، هواء الجزائر الذي يستنشقه الجميع وماؤها وسماؤها التي تظلل الجميع وترابها الذي يعيش عليه أبناؤها جميعا يفرض عليهم وحدة الهدف والمصير، ويعبر مفدي عن هذا التلاحم والتضامن بقوله:

[1]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص09

[2]– المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

نحن في هذه الجزائر إخوا ن جراحاتنا الثخينة حمرا

لحمة الضاد والعروبة التا ريخ والدين، آي ربك كبرى

وهواها ماؤها وسمـاها وثراها الزكـي شبرا فشبرا [1]

فالشخصية العربية التمسك بالعقيدة الإسلامية كان من وسائل تحقيق النصر لما تحمله تلك العقيدة من مبادئ ثورية تدعوا إلى رفض العبودية لغير الله، ومقاومة الشرك والطغيان، وتحقيق العدالة والسلام، ولما تعد به من خلود وثواب للذين يموتون في سبيل الحق واعتبار هؤلاء أحياء لا يموتون، لذلك كان من أهداف المستعمر القضاء على الروح الوطنية والتخلي عن شخصيته العربية مستعملا في ذلك أسلحة كثيرة، كسياسة الإدماج والتجنيس وغيرها، إلا أن الجزائري ظل متشبثا بجزائريته متمسكا بعروبته وإسلامه، مؤمنا بالثورة وتحقيق الانتصار على الطغيان ويعبر مفدي عن ذلك في قوله: [2]

واستضعفوه.. فقرّرواإذلاله فأبتْ كرامتُهُ لـه أن يخضعا

واستدرجوه.. فدبّر وإدماجه فأبــتْ عروبتُه له أن يُبلَعا

وعن العقيدة.. زوّرواُ تحريفَه فأبى مع الإيمان.. أن يتزعزعا[3]

وما يمكن استخلاصه في نهاية هذا الفصل، هو أن الأوضاع المزرية التي عاشها الشعب الجزائري كانت الملهم الأول والدافع الثاني في نمو الحس الثوري عند مفدي زكريا ومحاولته نشره في أوساط الجزائريين، بهدف التمرد وعصيان المستدمر المستعمر للشعوب.

3-2- الحس الثوري في شعر مفدي زكريا:

لو صح أن يعرف مفدي زكريا بقول موجز لعرف بالثورة، ولذلك لم يخطئ من وصفه بشاعر الثورة إذ سخّر شعره للثورة المظفرة تأريخا وتأصيلا وعاطفة ومبدأ ودعوة.

[1]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص09

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[3]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، الصفحة نفسها

فقد امتزج الشاعر بالثورة امتزاجا كليا، فسرت نيرانها إلى أحشائه قبل أن تسيل من قلمه، ومن يتصفح إنتاجه الأدبي والشعري يدرك أن الرجل كان ثوريا بأتم معنى الكلمة، ولعل هذا مرده إلى بشاعة الاستعمار وهمجيته وتنكيله الفظيع بالجزائريين ذكورا وإناثا، كبارا وصغارا، وحتى الشاعر لقي من جحيم التعذيب ما لا يوصف، فعندما ننظر إلى عناوين بعض قصائده نجدها ذات ملمح يغلب عليه الحس الثوري ومثال ذلك: الذبيح الصاعد، زنزانة العذاب، حروفها الحمراء أنا ثائر، وتكلم الرشاش جل جلاله،المارد الأسمر، إلى اللذين تمردوا، أذكروا الثورة في أقسامكم، سنثأر للشعب يوم الخلاص...إلخ، كل هذه العناوين وغيرها مثيرة ثائرة ثورية.

فمن يتصفح ديوان اللهب المقدس يستدعي انتباهه منذ الوهلة الأولى العنوان، فهو عنوان معبّر فبقدر ما فيه من ثورية واندفاع يعبر عن الأنفة والعزة إن ثورة الجزائر لهب مشتعل ورصاص منطلق وحماء محرقة، وأهاتوزفرات، وتنكيل وتعذيب وسجون ومعتقلات وضحايا ومعطوبون، إنه اللهب المقدس وما يحمله من قدر للحس الثوري لدى مفدي زكريا، ثورة من أجل السلم والأمان والعدالة والتنمية والحفاظ على الهوية والثوابت.

أ-رثاء المجاهد الشهيد:

نلمس الحس الثوري بقوة في الاتجاه الثوري الذي فجّر بطولات ذات قوة وعزيمة في محاربة الاستعمار والتصدي له، وقد رثى مفدي زكريا من هو أحق بالرثاء، وهذه شهادة منه على الحق وعلى حامليه، وقد سقطوا شهداء من أجل شيء قدّسه الإسلام وأجلّ الله حامليه ألا وهو الجهاد.

فقصيدة الذبيح الصاعد التي تعد من بين القصائد التي نلمس من خلال ألفاظها وعباراتها الحس الثوري، كيف لا وهي تخلد شهيدا فقد الإحساس بالآلام الجسدية أثناء المقاومة للعدو، فهذه بطولات عظيمة متشامخة تطل على هذه المظاهر المأساوية ولفتة ساخرة، وهناك بعض المواقف التي تجعل قلم الشاعر يتحرك إلى الكتابة منتلقاء نفسه"فيؤلف

قصيدة رائعة تصور ذلك المشهد فهاهو–مفدي زكري–يستمد شاعريته من الثورة ويضفي أبعادا جديدة في علاقة الشعر بالثورة، فألف قصيدته'الذبيح الصاعد'داخل سجن بربروس1955م التي كانت تحكي قصة اول شهيد سقط في ساحة المعركة وهو المرحوم–أحمد زبانا–الذي استقبل حكم الإعدام بشموخ وثقة بالنصر"[1]

فيقول في مطلعها:

قام يختال كالمسيح وئيـدا يتهادى نشوان، يتلو النشـيدا

باسم الثغر كالملائك، أو كالط فل يستقبل الصباح الجـديدا

شامخا أنفه جـلالا وتيهادا رافعا رأسه يناجي الخلـو

إلى قوله:

أشنقوني، فلست أخشى حبالا واصلبوني، فلست أخشى حديدا

وامتثل سافرا محياك جـلا دي، ولا تلتثم فلست حقودا

واقض يا موت فيما أنت قاضي أنا راض، إن عاش شعبي سعيدا

أنا إن مت فالجـزائر تحيا حــرّة، مستقلة، لن تبيدا

فالشهيد–أحمد زبانا–إذا الذبيح الذي فضل الموت على خيانة وطنه فصار نموذجا يحتذى به ومثلا يضرب في الصبر والقوة، فلا يمكن للقلم أن يصف كل هذه المشاهد بدقة،أيأنه عاجز عن ذلك كون المشهد مرعبا، لكن–مفدي زكريا–حاول أن يبين قليلا منه مادام قد عايش هذا الموقف، فمن يقرأ تلك القصيدة بعمق يستخلص أن الذبيح الصاعد

[1]– عبد الحليم الجاسم : الشعر الثوري الجزائري بين حركة الاصلاح والثورة ، سلسلة الدراسات ، الجزائر، د ط، 2002، ص156–157

احتضنته السماوات وعانقه–جبريل–بجناحيه، فيذهب برأيه هذا إلى أن المسيح عيسى ليس الوحيد في الصاعدين الخالدين بل الشهداء أيضا. [1]

وعندما ينهي الشاعر من ذكر هذا الحدث الأليم يلجأ إلى تجسيد تجربة بطولية ذاتية، أي أنه لم يكن فيها عنصرا مشاهدا وإنما عاشها هو بحد ذاته في سجن بربروس الذي تلقى فيه شتى أنواع التعذيب من سوط لاهب، أسلاك مكهربة، تيار صاعق وحوض خانق...إلخ، فكل هذه الوسائل كان يتلقاها أيضا الشعب الجزائري بأكمله وبالرغم من ذلك حاول الشاعر أن يرفع من معنوياته ومعنويات أبناء شعبه بواسطة قلمه الذي كان الوسيلة الوحيد التي تساعده في الخروج من هذه المحنة، كما تساعده أيضا في إخراج مرارة العذاب والقهر والآلام التي تختلج في خواطره فمجرد التفكير في أنه سيأتي يوم وتنتهي هذه المآسي ينسيه كل هذه الأحزان، ولننظر كيف عبّر في القصيدة نفسها على صبره على المكاره بعد أن جسّد شتى أنواع التعذيب فيقول:

يا سجن، ما أنت؟ لا أخشاك، تعرفني — من يحذق البحر، لا يحدق به الغرق
إني بلوتك في ضيق، وفـي سعة — وذقت كأسك لا حقـد ولا حنق
أنام ملء عيـوني، غبطة ورضى — على صياصيك، لا هم ولا قـلق
طوع الكرى وأناشيـدي تهدهدني — وظلمة الليل، تغريني فأنطـلق
والروح تهزأ بالسجـان ساخرة — هيهات يدركها، أيان تنــزلق
تنساب في ملكوت الله ســابحة — لا الفجر، إن لاح، يفشيها ولا الغسق [2]

فالشاعر في هذه الأبيات تجاوز المحنة في شعره رغم أنه لم يتجاوزها في واقعه، وحسه الثوري يبعث في نفس المتلقي الإحساس بالسجن ويصوّر ساحة الإعدام تصويرا دقيقا.

ب–رثاء المجاهدة الشهيدة:

كما بان الحس الثوري في شعره على المرأة الجزائرية الشجاعة، التي تعتبر عاملا من عوامل

[1]– محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الرغاية، الجزائر، د ط، 2007، ص 351

[2]– مفدي زكرياء : اللهب المقدس، ص 21

قيام الثورة، وما تعرضت له في ظل السيطرة الاستعمارية من ظلم وتعسف وقهر، إضافة الى قتل وذبح وانتهاك للحرمات، وهو وا ذهب اليه مفدي زكريا في قصيدته'لغة الكلام'التي تحدث فيها عن جرائم المحتلين إزاء المرأة الجزائرية.

لا الذاريات، الماحقات، هواطلا   لا الشامخات، تدكـها الألغام

لا القاصرات، الغافلات، كواعبا   ديست قداستها وفضّ خـتام

لا الحاملات، بطونها مبقورة   ذبحت أجنّتها، وفك حـزام

لا، والمراضع عوّضت أثداؤها   بفم المسدّس، والرصاص فطام

والأم يهتك عرضها، وفحولها   حول الفضيحة شاخصون قيام

يا للفظاعة من وحوش جوّع   تسمو علـى أخلاقها الأنعام [1]

فالمرأة كانت تقوم بأدوار بطولية ظلت خالدة من أجل تحرير البلاد فرفعت صوتها في وجه أعداء الوطن، إذ نجد منها الفدائية التي تنفذ عمليات يصعب على الرجل تنفيذها، ونجد منها المجاهدة في صفوف القتال في أعلي الجبال، كما كانت منها الممرضة التي تهتم بالجرحى، ولنقرأ هذه الأبيات التي قالها مفدي على لسان مناضليه في قصيدته'بنت الجزائر:'

أنا بنت الجـزائر   أنا بنت العرب

يوم نادى المنـادي   ودعل للكفاح

قمت، أحمي بلادي   وتركت المزاح

قصدت جهـادي   وغدوت الجناح

أنبري للأعـادي   وأداوي الجراح

أنا بنت الجـزائر   أنا بنت العرب

أنا ألهب نارا   في صفوف القتال

[1]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 9–10

أنا أدعو البدارا   من أعلي الجبـال
أنا كنت المنارا   في معاني النضـال[1]

فالأبيات تبيّن انعكاس الثورة وصداها المؤثر على المرأة الجزائرية حتى استجابت لهذا العمل فاتخذت موقعها النضالي إلى جانب الثوار، وتجلت استجابتها هذه في قدرتها على العمل والتضحية والإقدام والشجاعة، فيمكن أن نقول أن المرأة تمثل في تلك الفترة وعيا جديدا أنضجته سنوات القهر والظلم والحرمان. [2]

فالمرأة في الثورة ليست أمّا فقط، بل هي البنت الثائرة والمجاهدة في جيش التحرير، تعمل من أجل الجزائر التي أضحت أهم ما تملك، وكان مفدي ناقلا لهذه الشجاعة والاحساس بعظمة الثورة عند نساء الجزائر، فقال في قصيدته'فلا عز...حتى تستقل الجزائر:'

بلادي، يمينا بالذي شـــــــرع الفدا   وبالجيش، في الساحات يسترخص العمرا
(وبالخمسة الأحرار) يخطف في السما   ويحجزهم في السجن، جلاّدهـم أسرى
وحق(الجميــــــــلات الثلاث) وبالتي   أجابت، فراحت للفدا، تهجـر الحدرا
سنثأر حتى يعلم الكـــــــون أننا   أردنا فــأرغمنا بإصرارنا الدهـــــرا [3]

استطاع مفدي زكريا وبكل وضوح أنيبين عظمة المرأة الجزائرية من خلال كلماته التي تنبع بالحس الثوري والوطنية، وعزم، وعزم على الاستقلال ليطل فجر جديد لجزائر حرة مستقلة. ونجد أيضا أبيات أخرى لرثاء المجاهدة التي تشارك في المعارك مشاركة فعّالة، حيث تقوم بعلاج الجرحى وتواسي المرضى وتوفر كلما باستطاعتها من طعام للمجاهدين والدفاع عن

[1]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 93-94

[2]- عبد الجاسم الساعدي : الشعر الثوري الجزائري بين حركة الاصلاح والثورة، سلسلة الدراسات ، الجزائر، د ط، 2002، ص 190-191

[3]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 318

وطنها الجزائر، فتقاوم في الميدان بقوة وعزم إلى جانب أخيها المجاهد، ويقول الشاعر فيها:

شاركت في الجـهاد آدم حوا ء، ومـدت معاصمها وزنودا

أعملت في الجراح أنملها اللّد ن، وفي الحرب غصنها الألمودا [1]

فالجيش الجزائري يتكون من المجاهدين والمجاهدات عكس جيش المحتل الذي يتكون فقط من فئة الرجال الذي يتلقى الأوامر من الحكام لإشباع غريزة شاذة ألا وهي الإجرام.

[1]– مفدي زكرياء: اللهب المقدس ، ص 15

الفصل الثاني:

صورة الثورة وجمالية الشعر في قصيدة "إلياذة الجزائر"

- الصورة الشعرية في وصف الجزائر : تحليل الأبيات الشعرية
- ايقاع الحرية وهاجس التحرر في قصيدة إلياذة الجزائر

الصورة الشعرية في وصف الجزائر : تحليل الأبيات الشعرية

إن الجانب الفني يعتبر الوسيلة الأساسية التي يبنى عليها العمل الشعري، إذن لا يمكن أن يخلو الفن الشعري من كل هذه الأدوات الفنية لإثراء مضامين قصائد الشعراء إضاءة وزيادة المعنى وضوحا ورونقا ، كما أن للعمل الشعري أهمية بالغة في طريقة الإلقاء عند الشاعر ، وهذا ما نجده عند مفدي زكرياء نكهة وطعما مميزا ، لأنه يشحنك بالحماسة إلى درجة تعود فيها بشعورك إلى التاريخ ، كما أنه يعطي للنبر حقه والتنغيم حقه، ويفجر أصواتا بدافع الروح.

اللغة والأسلوب:

اللغة:

إن اللغة تنمو وتحيا بفضل استعمال الأدباء لها، فعلى أيديهم تكتب مفردات جديدة، وعلاقات لغوية جديدة فإذا تصورنا لغة ما بدون شعراء أو أدباء فهي تلك اللغة الآيلة من غير شك إلى الموت والانقراض ، ولكن الفضل في حياة اللغة وتطورها يرجع إلى الأدباء الذين يبدعون بها ويعتبرون من خلالها . [1]

كما يقال:" فحين يفرغ الأديب من أداء كلماته يكون في الواقع قد فرغ من أداء عمله الفني " [2]، كما يعرفها **عباس محمود العقاد:**(هي اللغة التي بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية ، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان لاتنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن منه كلام الشعر). [3]

إن الدارس في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، " يرى أن المصدر والمنبع الأساسي الذي كان يسقي منه أفكاره و تعابيره وألفاظه القرآن الكريم في إنتاجه الشعري طوال مسيرته

---

[1]– حواس بري ، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د: ت،ص325.

[2]– عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط:، د:ت ، ص23.

[3]– عباس محمود العقاد ،اللغة الشاعرة،مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، دار غريب للطباعة، القاهرة، د ط ، دت، ص11.

الشعرية التي استمرت حوالي نصف قرن، من أغزر روافد الصبا في شعره ومن أجزلها عطاء وسخاء

بالرفات الخيالية والتصويرية وقد ظهر ذلك جليا واضحا في بنية قصائده لغة وتصويرا وموسيقى وصاحبته هذه الميزة في كل مراحله الشعرية(المرحلة الإيحائية والنضالية والمرحلة الثورية ومرحلة ما بعد الاستقلال) ويحتل مكانة سامية مقدسة في نفسه القرآن الكريم ويمثل في نفسه نهاية السمو الذي لانهاية بعده ". [1]

ومن خلال هذا نجده يوظف اللفظ القرآني بين مستوين هما :

المستوى الأول: توظيف اللفظ القرآني معنى ولفظا

في هذه الحالة يستوحي الشاعر القرآن لرسم صورة أو تعبير عن فكرة بل يعمد إلى الآية أو الآيات المستوحاة لإعطاء شعره مضامين متنوعة وهذا مانجده في قوله:

وفي قدسنا جناتنا الناظرة وجوه إلى ربها ناظرة [2]

فالبيت مأخوذ من قوله تعالى: « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » [3]

وفي قوله :

ويحفظ ميزاب لوح الجلال فيصبح ميزاب في اللوح حرفا [4]

فأخذ الشاعر الكلمة ومعناها في قوله تعالى: « بل هوقرآن مجيد في لوح محفوظ » [5]

حيث يقول الشاعر:

تقدس واديك منبع عزي ومسقط رأسي وإلهام حسي [6]

---

[1]– محمد ناصر ، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث ، العطف ، غرداية ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، ط02، 1969.

[2]– مفدي زكرياء ، الإلياذة ، ص46.

[3]– سورة القيامة ، الآيتان 22، 23.

[4]– مفدي زكرياء ، الإلياذة ، ص34.

[5]– سورة البروج ، الآيتان 21،22.

[6]– مفدي زكرياء ، الإلياذة ، ص35.

فالبيت مقتبس من قوله تعالى:« إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى» [1]

وأخرجت الأرض أثقالها فطار بها العلم فوق الخيال [2]

فصدر البيت مأخوذ من قوله تعالى :« **وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها** » [3]

المستوى الثاني: توظيف اللفظ القرآني دون مضمونه

هنا يستخدم **مفدي زكرياء** اللفظ القرآني في غير معناه القرآني ويأتي لها بمعنى آخر مثل قوله في روعة طبيعة الجزائر:

وسبح لله مافي السموات والأرض ملء شفائف شفا [4]

مأخوذ من قوله تعالى:« **سبح لله ما في السموات و ما في الأرض**»[5]

وقال أيضا:

وتمت بها كلمات الإله التي وقعت باسمها الواقعة [6]

لقد اقتبس الشاعر لفظ البيت من الآية القرآنية: « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة» [7]

وفي موقع آخر يقول:

ولم ترض بالفحل من قومها فهامت بمن ....مارمى إذ رمى؟ [8]

مأخوذ من قوله تعالى:« وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » [9]

---

[1]- سورة طه، الآية 11.

[2]- مفدي زكرياء، الإلياذة، ص36.

[3]- سورة الزلزلة، الآيتان2، 3.

[4]- مفدي زكرياء ، الإلياذة ، ص34.

[5]- سورة الحديد، الآية 1 .

[6]- مفدي زكرياء ، الإلياذة ، ص83.

[7]- سورة الواقعة : الآيتان1، 2.

[8]- مفدي زكرياء ، الإلياذة ، ص105.

[9]- سورة الأنفال : الآية 17.

في كل هذه النماذج نجد هيمنة النص القرآني بلفظه ومعناه فقد تملك خيال الشاعر وهذا الاستنجاد بالآيات القرآنية الكريمة يدل على الحالة النفسية المتألمة المعذبة التي يعيشها مفدي زكرياء مستمدين من آياته البليغة الفريدة العبارة والأفكار.

ومن مميزات اللغة كذلك :

الدقة: " فنعني بها أن الشاعر يختار الكلمة المناسبة للموقف المناسب ، وكما قال **ابن جني:** (مصاقبة الألفاظ لمصاقبة المعاني) سعيا إلى تطابق اللفظ والمعنى " [1]

تأذن ربك ليلـــــــة قدر وألقى الستار على ألف شهر

وقال له الشعب :أمرك ربي وقال لـــــــه الرب أمرك أمري

ودان القصاص فرنسا العجوز، بما اجترحت من خداع ومكر

ولعلع صوت الرصاص يدوي فعاف اليراع خرافـــــات حبر

وتأبى المدافع صوغ الكلا م ، إذا لم يكن من شواظ وجمر. [2]

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات لجوء الشاعر إلى هذا التوظيف في المواقف العظيمة والأحداث الجسام التي يتخيل لنا التاريخ يتوقف لحظتها إجلالا و روعة ، ومن هذه اللحظات لحظة إطلاق أول رصاصة في ليلة الفاتح من نوفمبر سنة 1954، لنضع حدا للجاهلية التي استمرت قرن و ثلث القرن ، هذه الليلة كانت بزوغ لفجر الحرية فقد شهدت ميلاد الثورة التحريرية المضفرة ، ونظرا لعظمتها وجلال شأنها بحيث لم يضاهيها مثل في مخيلة الشاعر، إلا ليلة القدر المباركة تلك ليلة الارض ،تلك الليلة التي هي خير من ألف شهر،شهدت تغير مجرى تاريخ البشرية من العبودية إلى الحرية ومن الظلام إلى نور الاسلام ، وماتحمله من دلالات تعبر عن مرحلة التغير الإيجابي والخلاص المنتظر كما يصف المجاهدين الذين ناضلوا من أجل وطنهم بالصحابة المقربين .

[1]- حواس بري ، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم ، ص336.

[2]- مفدي زكرياء ، الإلياذة ، ص69.

وعن دقة اختياره للألفاظ يقف الشاعر أمام هذه الأبيات وقفة المندهش المنهبر بروعة هذه الطبيعة وجمالها الأخاذ يبعث فيها الحركة ،لأن اللفظة التي تحدد شخصية الشاعر و أفكاره، كما تعبر عن حقيقة مشاعره وصدق أحاسيسه وذلك في قوله:

سل الورد يحمل أنفاسها لحيدر مثل الحظوظ البواكر

و أبيار تزهـــــو بقديسها رفائيل يخفى انسلال الــجآذر

تبـــــــاركه أم إفـــــريقيا على صلوات العذارى السواحر

ويحتار بلكور في أمـــــــــرها فتضحك منه العيون الفـــــواتر

وفي القصبة امتد ليل السهارى ونهر المجرة نشوان ساهـــــر

وفي ساحة الشهداء تعـــــالى مـــــآذن تجلو عيون البصائر [1]

ومع هذا فإن مفدي زكرياء قلما يصف عواطفه إتجاه هذه المناظر الطبيعية بالأفعال (الفعل الماضي، الفعل المضارع والأمر) فالبقية باهرة بمنارها تحمل أنفاسها" لحيدرة " ، و "الأبيار " تزهو بقدسيتها، الذي يخفي تحت الستار الجآذر ذلك" أم إفريقيا" ويحتار "بلكور" في أمر هذه القدسية التي تبارك الخطيئة، فتضحك من سذاجة ، وكل هذا بفضل جوهرة الإبداع والخيال لدى الشاعر.

– **الجرس الموسيقي:** " ومن خواص لغة مفدي زكريا أنها ذات جرس موسيقي يعطي الكلمة مدلولها من خلال التكرار الذي يتعمده الشاعر لحروف أو كلمات بعينها تساعد على توليد المعنى من خلال ماتحدثه من جرس موسيقي بتواليها وتتابعها ، [2] بل هي في تنوع وتزايد مع النص والموسيقى لفظا ومعنى .

فقد كرر الشاعر حرف المقللة في قوله :

وفي باب واديك أعمق الذكرى أعيش بأحلامها الزرق دهرا

---

[1]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ، ص23.

[2]– حواس بري : شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم ، ص341.

بها ذاب قلبي ، كذوب الرصاص فأوقد قلبي وشعبي جمرا . [1]

كما كرر حرف السين أربع مرات في هذا البيت للتأكيد على الحالة النفسية المتألمة لأن التكرار يؤدي وظيفة تعبيرية واضحة في قوله:

كأن لخميس وخمسين نجوى لست وخمسين يوم اجتمعنا. [2]

ومثل تكرار الكلمات التي أحدث جرسا موسيقيا في قوله:

وكيف يقـــــــوم بنيانه وتقويم أخلاقهما ما ستطاعا ؟ ؟.

وكيف يصون الأصالة نشء وقد ساومـــــوه عليها فباعا ؟ ؟ .

وكيف ينير الطريق شباب وقد طمس الرجس فيه الشعاعا ؟ .

وكيف يداوي المريض صحيحا وفي قلبه مرض السل شاعا ؟ . [3]

كل ما رأيناه من الشواهد تؤكد على أن **مفدي** استطاع أن يشيع الأوجاع التي أراد التعبير عنها عن طريق الألفاظ ذات الجرس الموسيقي بحسه المرهف كما تؤكد على دلالة النغم والذوق وإيحاء صوت الكلمات وإعطائها لونها المعنوي في جملة التصوير بالشعر .

– **قوة اللفظ في قوة المعنى** : ذلك ما نلاخظه في مثل هذه المواقف التعبيرية والتي أشاد من خلالها بشجاعة الثوار حيث يقول :

تبارك شعب تحدى العناد فصام ، وأضرب سبعا شدادا

وأنف أن يستسيغ الحياة تجرعه ذلـــــــــة واضطهادا

وأقسم أن لا يعيش النهار عميلا يوفر للبوم زادا

وأن يهجر النوم يلقى المنايا ويبلو الليالي الطوالا الجلادا. [4]

ومن وحشية المستعمر في قوله :

سكيكدة ثائرين أعيدي علينا فضائح باغ الحقود

---

[1]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م، ص25.

[2]– المرجع نفسه ، ص71.

[3]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، ص97.

[4]– المرجع نفسه ، ص77.

أغسطسن عشرون لم ينساها ويذكرها ألف ألف شهيد

وخمس وخمسون في الذكريات جلالة يهدهد صدر الوجود

وعطر للمذابح في ساحها نوافج تلهم سفر الخلود

وتحكي لهذا الورى قصة مضرجة عن جهاد الأسود [1]

ومن الألافظ التعاون والتراحم والإتحاد التي تناولت الشعوب العربية في قوله :

فيا مغربا مازجته الدماء وأجمع في الصرصر العاتيه

وزكاه أطلسنا في القرو ن فرحنا ندين بوحدانيه

دعوا المغرب الوحدوي يقرر ويرفض مصائرنا الباقية [2]

من خلال هذه الأبيات نلاحظ هذه الألفاظ تساعد المتلقي على إدراكها اعتمادا على الذوق والمعرفة واستعمال التشبيهات والمجازات والزخارف البديعية وذلك لقوة فخامتها ومعانيها كما أن قدرة الشاعر الفنية يغوص في أعماق المتلقي النفسية وتثير في الإحساس والمشاعر بخطورة الثورة من جهة ، والدفاع عنها من جهة أخرى ، ذلك من خلال ضرب الأمثلة من بطولات التاريخ الإسلامي عبر غزوات – الرسول صلى الله عليه وسلم – وأصحابه .

ثانيا: الأسلوب

لغة : قال صاحب اللسان : ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب ، يقال أنتم في أسلوب سوء، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم الفن : يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه. [3]

إصطلاحا: الأسلوب هو الذي وحده يجعل الشاعر أو الكاتب صوتا لا صدى ، صوتا له مايميزه عن بقية الأصوات التي نسمعها في الساحة الأدبية ، لأن الأسلوب يعتبر معلما من معالم الساحة الأدبية.

---

[1]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م ، ص72.

[2]– المرجع نفسه ، ص85.

[3]– حواس بري : شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم ، ص288.

فمن مميزات الأسلوب عند مفدي هي:

- **الأصالة:** إن مفدي يعتز بأصالة شعره باستقائه من هذه الروافد التراثية التي تمثل الوجه الفني للحضارة العربية الاسلامية ، ومن أبرزها تدفقا القرآن الكريم لأنه يكتب شعره عن وحي منزل يفجر وعيه وحسه ووجدانه [1] لقد تشبع **مفدي زكرياء** بالتراث العربي النقي ، خاليا من الثقافة الأجنبية وألفاظه بعيدة عن العامية .

كما يقول **الشاوي** : " أن أسلوب مفدي مثل ثورته ومثل إرادته عربي صميم[2] ".

مثل ذلك في قوله :

كم اندس بين المثقف حركي فأبدل فيه اليقن بشك.

فكلمة " **حركي** " : هي كلمة عامية شاعت بين الأوساط الجزائرية ، أطلقت على العميل الذي اصطنعته فرنسا لضرب الثورة من الخلف بيد المرتزقة من أبناء البلاد وقد كثر هذا النوع بعد الاستقلال . [3]

كما قال أيضا :

وتختال بالميني جوبا دلالا وتستعرض المغريات الخفية

فكلمة " **الميني** " : هي كلمة أجنبية تطلق على اللباس القصير للمرأة ، وقد دخلت في اللغة بفعل التأثير الإستعماري وهذه الظاهرة قليلة جدا في الإلياذة ، بحيث لا يمكن أن تطعن فيما ذهبنا إليه من عربية أسلوبه ، لأنها مجرد ألفاظ يضعها الشاعر في الهامش مشيرا إلى أصلها الأجنبي مع استعمالها الدارج.

مثل قوله:

وإن زل يوما ، تناديه بيكو فأحسب بيكو من البكويه

---

[1]- محمد ناصر : ، مفدي زكرياء شاعر الثورة والنضال ،ص 180.

[2]- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء- دراسة فنية تحليلية -،دار البعث، الجزائر،1987، ص379.

[3]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م ، ص100.

لقد همش مفدي في إلياذة الجزائر على أن " **بيكو** " لفظة تستعمل في شتم المسلمين واحتقارهم ،وخاصة أهل شمال إفريقيا، أما " **البكويه** " فهي لفظة تشريف في مصر وصاحبها يسمى " **بك** " وتنطق اللفظة " **بيه** " .

2- المباشرة وطابع الحماسة:

هما سمتان بارزتان في القصيدة الجزائرية خاصة أثناء فترة الثورة ، لأنها في حاجة إلى صوت يحمس لها أكثر من حاجتها إلى نغمة تتغنى بها ، وربما هذا ماوجده الشعراء ينسجم مع جو المعارك ، مايبرز تسامحهم في الاحتكام إلى النظرة الفنية المجددة في بناء القصيدة[1]

ولكن هذا ما رأيناه شائعا في أسلوبه الذي يثير تفاعل الجماهير مع مضامينها المتنوعة وإن استعماله لمثل هذه الأساليب ذات الطابع المباشر الخالي من التصوير لأن الظرف يتطلب ذلك فالفترة فترة ثورة لاداعي للتصوير والخيال في ذلك الوقت.

أتى أمرنا صارخا فانطلقنا ولذنا بوحدتنا ، فانعـــتقنا
وفاوضنا القوم في أمرنا وأمر سيادتنا ... فرفضنا
وقالوا: سنجري عليها اقتراعا بلا ، ونعم ، خدعة ، فاعترضنا
فرنسا تناسيت ما ليس ينسى أما في نوفمبر... كما اقترعنا
وأجرى علينا الرصاص انتخابا وخضب أوراقنا ... فانتخبنا؟؟
وقلنا... وقالت لنا الكائنا ت ، خذوا حذركم واثبتوا فثبتنا[2]

لأن المباشرة والحماسة من أبرز الخصائص التي عرف بها شعره، بقدر ماتليق به لغة تملأ الأشداق وتقرع الآذان .

---

[1]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م ، ص104.

[2]- الوناس الشعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1954-1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، دت، ص188-189.

3- القوة والجزالة:

نقصد بها قوة الكلام أي قوة التراكيب وإحكام بناء الجملة ، فعند مفدي نجد كلامه محكما متماسكا وفي الجملة تناسق وانسجام بين الألفاظ، وهذا مايزيد من أسلوبه دلالة وجمالا ومعنى ووضوح ودقة في قوله :

أمانا من الخطر الداهم ومن معول قاصف هادم

غزا الذهبيون عقل الشبا ب، بمستورد آفن آثم

وزاغوا بهم ، دون إسلامهم إلى مذهب ليس بالسالم

ودسوا شيوعية كالوباء كما يصرف السم للطاعم

وقالو التقدم شرع الحيا ة، وكم ركض الحلم بالنائم ؟ [1]

4- استحضاره لشخصيات الأنبياء: فمن مميزات أسلوبه استحضاره لشخصيات الأنبياء بكثرة بسبب ارتباطها بالسياق العام للتاريخ العربي الإسلامي ، ليستمد منها مشاهد إيمانية في تنوعها وتداخلها بما تحتله من مكانة وقداسة، على قراءة معنى جديد يتناسب مع روح الحدث التاريخي الذي استنفر كوامنه الشعرية ومتناسيا في الوقت نفسه بهذا الحدث الجديد إلى مراتب ومصاف الحدث القديم وهذا كله مادفع المتلقي المخاطب والشاعر بهذا استطاع ايصال رسالته كاملة بطريقة رائعة ومؤثرة، ومن أبرز الشخصيات الدينية التي ذكرها مفدي في الإلياذة : شخصية النبي **عيسى** و**محمد** في قوله :

وماكان عيسى ظلوما جهولا وكان محمد يرعى النصارى [2]

أما **آدم وحواء** فذكرهما في قوله:

وحذر آدم ظلم أخيه وسوى الحظوظ وأعلى الرؤوسا

وأخرج حواء من رمسها فألهمت الروح هاذي الرموسا [3]

و**هاروت الملك** في قوله :

---

[1]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م ، ص82.

[2]- المرجع نفسه ، ص96.

[3]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، ص80.

وبابل السحر من وحيها تلقب هاروت بالساحر [1]

وشخصية **ثمود** و**عاد** و**نوح** في قوله:

وأوقفت ركب الزمان طويلا أسائله : عن ثمود ، وعاد ...

وعن قصة المجد .. من عهد نوح وهل إرم ... هي ذات العماد؟ [2]

وعن شخصية النبي **موسى** الذي يشير إليه من خلال عصاه التي ألقاها فتلقفت سحر السحرة فيقول:

وألقيت في الساحرين عصا ي ، تلقف ما يأفكون بسحري. [3]

وعن شخصية **مريم** و**عيسى** ذرهما في قوله:

وتغضب عيسى المسيح وتبكي على جذع نخلتها مريما [4]

حيث ذكرهما الله تعالى للعبرة والاقتداء بها ، لأنها تثير العاطفة بمواقفها الانسانية وتغذي النفس الإنسانية بمثلها الأخلاقية.

5- توظيف المصطلحات الإسلامية : وظف مفدي زكرياء لغة ذات دلالة معجمية دقيقة مستوحاة من التراث الإسلامي ، وترتبط ألفاظه بإيحاءات نفسية ووجدانية عديدة منها كلمة " **الجهاد** " في قوله:

وآمن أشبالنا بالجهاد فعافوا الخنوع ، وخاضوا الغمارا [5]

كلمة " **القصاص**" وما تحمله من دلالات إسلامية :

ودان القصاص فرنسا العجوز ، بما اجترحت من خداع ومكر [6]

كلمة " **التوحيد**" وهذا مؤدى ما يتغنى به شاعرنا :

---

[1]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م ، ص42.

[2]- المرجع نفسه ، ص20.

[3]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، ص37.

[4]- المرجع نفسه ، ص115.

[5]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، ص105.

[6]- المرجع نفسه ، ص80.

وتمت بها كلمات الإله التي وقعت باسمها الواقعة [1]

2- الصور الفنية: تعد الصور الفنية إحدى الدعائم الأساسية التي يعرف بها الشعر بعد الإيقاع ، ولأهميتها في العمل الشعري جعلها النقاد والدارسون محط عنايتهم سواء ذلك عند القدماء أو المحدثون ، [2] " وهذا ما أدى إلى اهتمام النقاد بدراسة الصورة الفنية يكاد يطغى على اهتماماتهم الأخرى كاللغة والموسيقى ، ولعل ذلك يعود إلى أهميتها البالغة في القصيدة ، يقول كولدرج : الشعر من غير المجاز يصبح كتلة جامدة ذلك لأن الصورة المجازية جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة . [3]

وبذلك فالصور الفنية الناجحة هي التي يسعى فيها الشاعر لأن يكون فيها دمه ونبضه وبصماته ، وبذلك تكون كشفا نفسيا جديدا وليس مزيدا لمعرفة المعروف. [4]

اتكأ مفدي زكرياء على التصوير البياني الذي يثير الإحساس ويدغدغ الوجدان ويستقطب الأذهان ومن صور التشبيه البليغ حيث يقول الشاعر:

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تعالى يشد السما بالثرى

فيختال كـــــــبرا تنافـــــسه ثقجدا فلا يرجع القهقرى

تلون وجـــــــه السماء به فأصبح أزرقها أخضرا

وتجلو الثلوج على قدميه ، خشوعا فتسخر منها الذرى

هو الأطلس الأزلي الذي قضى العمر يصنع أسد الثرى [5]

حيث شبه الأطلس بإنسان يخاطبه ويسأله إذ حذف المشبه به ، وترك لازم يدل عليه وهو " سل " ، كما نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن عيد الأطلس الذي يصل

---

[1]- مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م ، ص69.

[2]- مفدي زكرياء : إلياذة الجزائر ، ص83.

[3]- حواس بري ، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم ، ص300.

[4]- عمر بقرورة ، الغربة والحنينفي الشعر الجزائري الحديث (1945،1962) ،منشورات جامعة باتنة ،الجزائر، ص237. ص237.

[5]- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب،دار غريب للطباعة، ط 4 ،القاهرة ، 1997، ص63.

السماء بالأرض حيث شبه لونها الأزرق أخضر بخضرة الغابة والأزهار والنبات ، دلالة على تكامل خلق الله ، أن لا عوج فيها كما أن **مفدي زكرياء** ، جعل الحياة تجري في الجوامد الصماء وشديد الولوع بالزخرفة والتشكيل ووصف الأشياء من الخارج دون محاولة التعاطف معها.

كما ينقل لنا الشاعر صورة بيانية حزينة يوظفها في شعره ، تتعلق بمشاهد من ثورة الجزائر المجيدة التي راح ضحيتها مليون ونصف مليون شهيد في قوله:

سبحنا على لجج من دمانا وللنصر رحنا نسوق السفينا

وثرنا نفـــــــجر نارا ونورا ونصنع من صلبنا الثائرينا

ونلهم ثورتنا مبتغـــانا فتلـــــــــهم ثورتنا العالمينا

وتسخر جبهتنا بالبـــــــلايا فنخسر بالظلم والظالمينا [1]

فإذا اعتاد الناس السباحة على الشواطئ فإن الشعب الجزائري تعلم كيف يسبح على دمه ، فإذا كان التبرع بالأموال ، فإن الشعب الجزائري تبرع بالأرواح حيث نقلت الصورة الفنية هنا موقفا عظيما من الأحداث الجسام التي يخيل فيها التاريخ يتوقف لحظتها إجلالا وروعة حيث جمعت بين متناقضين السباحة والدم ، وهذا ما يؤكد قدرة الشاعر التعبيرية على مدى اتساع خياله وحسه المرهف وتنفيسا لمكبوتات المستعبدين إذ عمد الشاعر في مثل هذه الحالات على تأكيد صوت الماضي في العمل الشعري واعتمد كثيرا على الصور القرآنية ذات البيان الفصيح المقنع منها :

التكرار–حيث يقول الشاعر :

وتمت بها كلمات الإله ، التي وقعت باسمها الواقعية [2]

---

[1]– إيليا الحلاوي ، فن الوصف، منشورات دار الشرق الجديد، د ط . دت ، ص100.

[2]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م ،ص35.

ونلاحظ أن الشاعر لما أراد أن يلح على معنى من المعاني القوية ليغرسها في نفس المتلقي راح تصويره إلى ما يستمدها من القرآن الكريم في قوله تعالى : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة » . [1]

كما نلاحظ أن حرف القاف والعين من الأصوات الإنفجارية القوية التي تحدث صدى في نفس المستمع كما أن تكرار الحدث (الواقع) تكرر بالفعل (وقعت) ، والمصدر المؤكد للمعنى ، مما يدل على أن قوة الحدث تمثلها قوة التركيب اللغوي البلاغي هذا ما يدل على قدرة الشاعر في التصوير المناسب للحدث المناسب .

الكناية – يقول الشاعر:

ولم ترض بالفحل من قومها فهامت بمن .... ما رمى إذ رمى [2]

" ما رمى إذ رمى " واردة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

« **مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ** » [3]، ككناية عن الكفار ، وقد وظفها الشاعر للتعبير عن الرجل الفرنسي وهي صفة مهينة حيث أبدلت الجزائرية العربية المسلمة ، الرجل الجزائري المسلم،بالفرنسي الذي يخالف دينها وأخلاقها ومبادئها وهامت به ربما من باب التحرر والتحضر بدورها أو لغرض آخر . [4]

ومن أبرز الصور التي استلهم منها مفدي زكرياء القرآن الكريم في قوله تعالى:« وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا» [5]

التي تعبر عن غربته وحنينه إلى بيئته الأصلية " الصحراء " وطبيعتها الفريدة المملوءة بالذكريات ومرتع الصبا ومساكن الأهل والأحبة متغنيا بفضائها الرحب وجمالها الخلاب حيث يقول الشاعر:

---

[1]– المرجع نفسه ، ص70.

[2]– مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر ، ص83.

[3]– سورة الواقعة ، الآيتان ،1،2.

[4]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، ص105.

[5]– سورة الأنفال ، الآية ، 17.

ألا مالي هذا الحساب ومالي ؟ وصحراؤنا نبع هذا الجمال

هنا مهبط الوحي للكائنات حيال النخيل وبين الرمال

ومهد الرسالات للعالمين ونور الهدى ومصب الكمال

هنا العبقريات والمعجزا ت وصرح الشموخ وعرش الجلال

تبادلنا الشمس إشعاعها ويلهمنا الصفو ، نور الهلال

ونعدو فنسبق أحلامنا ونهز أمن وثبات الغزال

وجنبنا الغدر ... ماء الغدير وحذرنا ، الظل نهج الضلال

وعودنا الصدق ...راعي المواشي وعلمنا الصبر ... صبر الجمال

توفر للشـــــــعب أقداره وتكفي الجزائر ذل الســـــــؤال [1]

لأن الصورة في الآية الكريمة توحي بالأمن والاطمئنان للوطن .

ونجد الصورة الفنيةعنده تمتاز بالتكرار والوضوح فهي عموما فهي في عمومها تكاد تكون مطابقة للأحداث ومواكبة للإضطرابات النفسية ، كما أن للعاطفة دور أساسي في خصوصيات ومميزات هذه الصورة لإثراء مضامينها.

2-ايقاع الحرية وهاجس التحرر في قصيدة إلياذة الجزائر

1-الموسيقى الشعرية:

تعد الموسيقى من أهم خصائص الشعر حيث أن النغم الموسيقي تطرب له الآذان وتسعد به، وترتاح له النفس " وهي مجموعة من الأصوات التي يتألف من ضرباتها الموقعة نغم يلمس الشاعر من إيقاعه لحن يهز أوتار القلوب " [2]

فبمرور الزمن وتقادم الأحوال والأحداث أصبحت الموسيقى الشعرية عنصرا إلزاميا هاما من عناصره الأساسية ، وأداة من أعظم الأدوات التي ينشء على دعائمها الشاعر هندسة

[1]- نسيمة زمالي ، قراءة في إلياذة الجزائرلمفدي زكرياء ، دار الهدى ، الجزائر، دط ،2012 ، ص41.

[2]- حواس بري: شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم، ص 276

بناء قصائده، ثم هي من ناحية أخرى تمثل المعيار الحقيقي من المعايير التي تميز الشعر عن النثر ووإن لم تكن هي المعيار الوحيد بينهما [1]

بمجرد ذكر الطابع الملحمي نتوقع منطقيا وجود نمط موسيقي معبر ، ومن خلال هذا تعتبر الموسيقى عنصر من العناصر المهمة في الشعر التي تبعث على الراحة وإزالة الملل والرتابة في حياة الإنسان ، وهي الحقيقة مجموعة من الأصوات التي يتألف من ضرباتها الموقعة نغم يلمس المشاعر ومن إيقاعها لحن يهز أوتار القلوب . [2]

لأنها ليست زخرفة تضاف إليه ، بل هي وسيلة من أبرز وسائل الإيحاء وأقدرها على التعبير عن كل ماهو عميق وخفي في عالم النفس وفي أغوارها، مما لا يكون في وسع ومقدرة الكلام على التعبير والإفصاح لذا فهي من أقوى وسائل الإيحاء تأثيرا وسلطانا على النفس، وأعمقها تأثيرا فيها، بل هي من بنية الشعر لدى أي أمة من الأمم. [3]

كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس : أن للشعر نواحي عدة للجمال لكن أسرعها إلى نفوسنا مافيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع، وتردد بعضها بقدر معين ، وكل هذا مانسميه بموسيقى الشعر. [4]

فالموسيقى إذن ليست هي محور الشعر فحسب، وإنما يشرط إلى جانبها الإنفعال وصدق التجربة [5] ، لأن التشكيل الموسيقي في الإلياذة يقوم على نوعين متابينين : هما الموسيقى الخارجية والداخلية.

1- الموسيقى الخارجية: "هي التي تعكس شخصية الشاعر في التجديد **أو** تقليد ما سار عليه غيره من الشعراء القدامى." [6]

---

[1]- علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة ، 1978، ص162

[2]- حواس بري: شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم، ص 275

[3]- عبد الحميد حسين، الأصول الفنية للأدب ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة،ط 2 ،1964 ،ص 23

[4]- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة،ط 3 ،1965 ،ص 226

[5]- حواس بري: المرجع السابق ، ص 276

[6]- حواس بري: شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم ، ص 288

كما تحتوي الإلياذة على ألف بيت وبيت 1001 ، خلد تاريخ الجزائر وبطولات رجالها، ومازاد من روعة الموسيقى تلك اللازمة التي انتقاها لفظا ووزنا ومعنا وما أبدته من صدق الانتماء والروح الجماعة وعقد العزم على تحقيق الأمنيات تلك اللازمة التي تذكر في ختام كل جزء، أي في كل عشرة أبيات ليدل تكرارها على الإصرار والعزم على المواصلة.

كما يمكن أن نقول بأن هذه اللازمة سوى أنها وصلة تريح القارئ أو المنشد وتهيئه للانتقال إلى النشيد اللاحق ، أو هي الخيط الرابط الذي يشد مجموع المقاطع إلى بعضها وإذا اجتهد بعضهم فلا يضيف على ماسبق سوى أن اللزمة في الملحمة بمقام الأنشودة في المسرح الشعري تتكرر لتوكيد المعنى السابق ولترك الجو العام على كل أجزاء النص، وهي تشبه ماكان القدماء يطلقون عليه اسم " **الرواي**" [1].

وهي كالتالي:

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصـــــلاة

تسابيحه من حنيا الجزائر

التي أسسها الشاعر منذ البداية على مفهوم التعالي والتقديس والطهر والروحانية الطاغية، ومهما أسندت اللازمة المتكررة من وظائف شكلية، في الجانب الإيقاعي أو في تحقيق الانسجام وربط أجزاء النص وغيرها ، فإن ذلك لا يبرر أن يهمل القارئ الأبعاد الملحمية التي حرص الشاعر على تأكيدها في اللازمة. [2]

[1]– دفاتر المخبر الشعرية الجزائرية، دراسات في الشعرية الجزائرية ، جامعة المسيلة ، العدد الأول ، مارس ،2009،ص 99

[2]– المرجع نفسه، ص 98

1-2-الوزن: من أهم ركائز الموسيقى فلا شعر دون وزن وقد كانت ولا تزال القصيدة العربية تحافظ على تراث الأمة العربية العظيم وتنقله عن طريق المشافهة والرواية فإن الفضل في وصوله وخلوده يعود إلى الموسيقى، ومن ثم فإذا اهتم النقاد القدامى بهذا العنصر فهم محقون ولأهميته قالوا: " الشعر هو كل كلام موزون مقفى " في هذا التعريف يدل على أهمية الوزن بالنسبة للشعر بوجه عام.[1]

ولا يزال هذا التعريف يلقى صداه عند الشعراء المحدثين حتى ظنوا ان عنصر الموسيقى من العناصر المساعدة على خلود الشعر، فقد قال مفدي زكرياء: " وإذا ما خلا الشعر من الموسيقى من العناصر المساعدة على خلود الشعر، فقد قال مفدي زكرياء: " وإذا ما خلا الشعر من الموسيقى المتجاوبة مع دقات القلب فقد خلا من عنصر الخلود "، فالموسيقى إذا ليست هي بحور الشعر فحسب، وإنما يشترط إلى جانبها الانفعال وصدق التجربة، كما اهتم النقاد القدامى بالوزن وأولوا جانبا كبيرا من الاهتمام بالقافية"[2]

لقد اعتمد مفدي زكرياء على البحور التراثية ونظم على منوالها، والالتزام ببحور الخليل لا يقل أهمية عن التزامه بمبادئه الدينية وقيمه الوطنية والقومية، ولم يخرج عن هذا النظام إلا في الأناشيد التي نظمها تصورا منه، ورغم إيمانه المطلق بضرورة المحافظة على البخور الخليلية وتحفظه على الشعر الحر، نجد مفدي زكرياء تحت تأثير موجات التجديد الرومانسية والحرة ينضم القصائد التي لم يلتزم فيها نظام القصيدة التقليدية، قد قصد إلى تحديد موسيقاها قصدا، كما يشير إلى ذلك في ديباجتها حيث يقول عن أول تجربة له من هذا النوع في سنة 1959 " إنها عينة من مذهبه الرصين في الشعر الجديد "[3]

---

[1]- سعيد الورقي: لغة الحر الشعر العربي مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، دار النهضة، بيروت، ص 277

[2]- المرجع السابق، ص 285

[3]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1985، ص 211

وفي تعليقه على تجربة أخرى له في سنة 1961 " بأنها عينة من نوع شعري الجديد الذي يؤمن به الشاعر لتناسق تفاعليه ومحافظته على الإيقاع الموسيقي "

كل هذه التجارب يرى مفدي أنها من الشعر الجديد، وفي الحقيقة هي التجارب المعروفة عند المهاجرين وجماعة أبولو، لأنه يحافظ فيها على الإيقاع بين تفعيلاتها، أبياتها ويلتزم بإحداث نوع من التفاعل الموسيقي بين مقاطعها.

ومن تجاربه الشعرية قوله في مقدمة هذه القصيدة :

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات[1]

واعتمد الشاعر في نظمها على **بحر المتقارب** ، إذ يشكل حوالي ثمانية وتسعين بالمئة من مجموعها، لأنه بحر صاف يكثر فيه التسكين الذي يساعد على حدة التعبير، أما تفعيلاته الثمانية ، فتساعد على تنوع المعاني وكثرتها. [2]

وقد عرف **بحر المتقارب** منذ القديم بخفة وقعه، إذ يلائم الحركة الدوارنية السريعة وذلك لمرونته ومناسبته لجميع الأغراض الحماسية والوصفية السريعة وذلك من خلال تفعيلاته التي تحدث وقعا تناغميا رائعا:

فعولن، فعولن ، فعولن ، فعولن فعولن، فعولن ، فعولن، فعولن

كما استخدم بحرين آخرين هما **الكامل** و**البسيط.**

وقد خضعت الإلياذة إلى أوزان الخليل في القصيدة العمودية دون الحيد عنها، فقد التزم القافية والروي، وقد نوع فيها حسب الحاجة لذلك كماأنه اعتمد الردف أحيانا وأهمله

[1]– مفدي زكرياء : إلياذة الجزائر، ص 19

[2]– بليحيا الطاهر، تأملا ت في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د ط ، د ت ،ص 54

أحيان أخرى، دون السقوط في عيب من عيوب القافية، فل إيطاء ولا تضمين ولا إقواء بل يحترم هذه القوانين ويسير على سنن الخليل كما هي مسطرة. [1]

2-2- القافية: هي آخر مقطع صوتي في البيت الشعري، والقافية في اللغة هي مؤخر الفتق، وفي إصلاح العروضين " هي البيت الأخفش، وعرفها الخليل، بأنها آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله "، وأولاها النقاد قسطا كبيرا في دراستهم، قال ابن جني " ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي، لأنها المقاطع، وفي السجع، كمثل ذلك نغم، وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمس والحشد عليها أوفى وأهم، وكذلك كلما تطرق الحرف في القافية ازداد عناية به ومحافظة على حكمه"[2]

وأكثر نسبة ورودا لحرف القافية هو : حرف (التاء) و(النون) و(الراء) و(الباء)و(الحاء) و(الفاء) و (السين) و(اللام) و(الدال) و(الميم) بنسبة واحدة تقريبا،كما نالت قافية (الهاء) إهتمام مفدي زكرياء خلافا لغيره من الشعراء من الناحية الصوتية، لأنها تتناسب مع مضامين الأنين والجروح فهو يحمل حالة الإضطراب النفسي الحاد والتأثير البليغ على السامع في قوله :

وتذكر ثورتنا العارمة بطولات ، سيدتي فاطمه

يفجر بركانه جرجـــرا فترجف باريس والعاصمه [3]

والهاء قد وردت في معظم أبيات القصيدة ناهيك أنها روي للأبيات، وصوت الهاء مادام " وهو صوتا حلقيا يبعث على التأوه كما هو واضح في الأبيات يتأكد لنا أن الكلمة في

[1]- نسيمة زمالي، المرجع السابق ،ص 18

[2]- حواس بري: شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم، ص 276

[3]- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر،ص 57

الدقيقة الوضعية هي صوت النفس، لأنها تلبس قطعة من المعنى فيختص به على وجه المناسبة قد لحظته النفس فيها من أصل الوضع حين فصلت الكلمة على هذا التركيب.[1]

وقد أطال الشاعر في استعمال أصوات اللين ليلاءم بين الموسيقى والمعنى، أو بين الأصوات والكلمات ملائمة تساعده على توفير هذا الجو الموسيقى الذي يشارك في توصيل المعنى لأن العنصر الموسيقى له علاقة بالإيحاء والتصوير والشعر في استعانته بالموسيقى الكلام إنما يستعين بأقوى الطرق الإيجابية لأن الموسيقى طريق للسمو بالأرواح والتعبير عما يعجز التعبير عنه.

من خلال هذه المحاولات وجدنا مفدي زكرياء ينوع في القوافي بين الفينة والأخرى، لأنه كان يكره الرتابة التي يجدها في القصيدة الموحدة القافية، وإن التزم بحر واحد في القصيدة، وهذا ما نراه في الملحمة التي نظمها بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة بالرباط.

معنى هذا أن القافية " ليست هي التي تشير إلى نهاية البيت، ولكن نهاية البيت هو الذي يشير إليها، وهي وحدها ليست قادرة على أن تلخص البيت، بل لا تحفظ أنها قافية إلا إذا وقع عليها النبر "، والشاعر كان يستخدم التنويع في قوافيه بما يناسب ويخدم الفكرة أو الصورة التي يعالجها المقطع، فتعلق الموسيقى حينا، وتهمس حينا آخر لأن الفكرة تتطلب ذلك النوع من الموسيقى " [2]

أما حرف الروي فكان فيه الثبات حيث أن الشاعر اعتمد على حرف الروي بمعنى أن كل مشهد كان يخضع لحرف مغاير وقد يعود من جديد بعد فترة مخالف لوضعه الأول .

2-الموسيقى الداخلية:

[1]- عبد الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، دار العربية للكتاب، تونس، ط 3، 1977، ص 139

[2]- عبد الجليل عبد القادر: هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1998، ص 63، بتصرف.

إذا كانت الموسيقى الخارجية تبرز ميل الشاعر إما إلى التجديد أو رغبته في تقليد الشعراء القدامى، فإن الموسيقى الداخلية تعكس شخصية الشاعر داخل عمله الفني.

وحد الموسيقى الداخلية " فهي هذا الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حينا أو بين الكلمات بعضها والبعض حينا آخر الانسجام الذي يحققه الأسلوب الشعري من خلال النظم " [1]

تظل الموسيقى الداخلية تؤدي دورها الصياغة اللفظية عن طريق الكلمات المعبرة والألفاظ الموحية، ومن هذا يتبين لنا أن " ليس الإيقاع مجرد تلاعب بالمقاطع، وإنما يعكس الشخصية بطريقة مباشرة ولا يمكن فصله عن الألفاظ التي تكونه والنغم المؤثر في الشعر لا يصدر إلا عن دوافع قد انفعلت صادقا ولهذا فهو أدق دليل على نظام النزعات " [2]

إذن ليست الموسيقى الداخلية وليدة الألفاظ المتراصة وإنما هي نتيجة حالة نفسية تكتف الشاعر من خلال تجربة أو موقف اهتدى فيه الشاعر، وقد وفق مفدي زكريا في اختيار الكلمات التي توفر فيها الانسجام الصوتي الذي تدركه من مطابقة الإحساس الذي يخلفه وقع الأحرف الصامتة المختلفة، فلقد اهتزت نفسية الشاعر مفدي زكرياء في الكثير من المواقف لاسيما الحوادث التي شهدتها الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي ومن أبرزها حوادث 8 ماي 1945 فهي تعتبر من أضخم المجازر التي ارتكبها الغزاة عبر حياة البشر وماخلفته من نتائج وخيمة على المجتمع الجزائري من دمار وخراب وجرح وقتل وتشريد وتعذيب فإننا نجد الموسيقى الداخلية أيضا هي التي تشخص الموقف النفسي للشاعرويتمثل ذلك في قوله:

فيا أربعين وخمسا أعيدي فضائح جند غبي بليد

---

[1]– عبد الجليل عبد القادر: هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1998، ص 63، بتصرف.

[2]– حواس بري: شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم، ص 288.

وبثام أحلاس جيش عميل عديم الحيا كضمير اليهود

ويا ذكريات الدماء الغوالي أفيضي جلالك ملء نشيدي

ويا لعنات السماء أنزلي صواعقا فوق الظلوم الحقود

ويا زهرة زرعتها دمانا وفتحنها بالصباح الجديد

ألا صمخي مهجات الضحايا بخراطة المجد ربض الأسود

تنفاخك عموشة الخالد ين،عبيرا فيخجل عطر الورود

وهزي بعزتنا في بنى عزيز المغاور صدر الوجود

وتيهي بمن شيدوا للبقاء ومن كتبوا صفحات الخلود

ومن قرروا للبلاد المصير بنور الحجى وبنار الوقود [1]

نلاحظ في هذه الأبيات، إنعكاس نفسية الشاعر في موسيقاه الداخلية إذ حفلت الأبيات بحرف الدال كروي ونبرته الشعرية كما نعرف لا تألف الهمس أو إيقاع الصمت بل خاصيته هي الصخب المتعالي والصوت الحاد كما كشف عن نفسية الشاعر المتأسيةوقد تجلى ذلك في كلمات : (بليد، اليهود، نشيدي ، الحقود ،الجديد ،الأسود، الورود، الوجود ،الخلود، الوقود) ولقد أكد لنا ذلك الجو النفسي بعض الألفاظ الأخرى مثل: (فضائح،، الحيا، الدماء ، صواعق، الظلوم ، الضحايا) ، التي توحي بالعنف والقتل والتشرد.

ولقد وفق الشاعر في إختيار الكلمات التي توفر الانسجام الصوتي الذي ندركه من خلال ألفاظه غليظة شديدة النبرة قوية الاحساس لايتخللها رقيق الكلام ولا عذبه بالمجزرة الرهيبة والدليل على ذلك العلاقة القائمة بين المعنى والموسيقى. فعلى قارئها " أن يتمهل في

[1]– مفدي زكرياء : إلياذة الجزائر، ص 67

قراءة كلماتها تمهلا شديدا يكاد يقف عند كل كلمة بل عند كل حرف من حروفها وحركة من حركاتها كما يفوض عليه أن يعلو ويهبط مع أصواتها وكأنه يتذوقها تذوقا " [1]

والموسيقى الداخلية هي الميزة التي تستطيع من خلالها التعرف على صدق الشاعر العاطفي، وتعليل ذلك إنما أنها تنتج من تفاعل الشاعر النفسي الفيزيولوجي معا، إذ ترتبط بدقات القلب وسرعتها تزيد كثيرا مع الانفعالات النفسية التي يتعرض لها الشاعر أثناء نظمه، فحالة الشاعر في الفرح غيرها في الحزن واليأس، فتكون نبضات قلبه كثيرة وسريعة في الدقيقة حين يتملكه السرور، ولكنها بطيئة حين يستولى عليه الهم والجزع، فتتغير نضم الإنشاء تباعا للحالة النفسية. [2]

اهتمام مفدي زكرياء بالموسيقى الشعرية دفعت به إلى الاهتمام باللغة الشعرية، فجاءت سلسلة سهلة ناصعة مع جزالة وفخامة تثير بدوي كلماته المشحونة بالنفس الحماسي ونبر تركيبها الصارخ الصاخب إيقاعها رنانا يلحم بين التجربة والتعبير... إيحاء صوت الكلمات وتكرار حرف معين فيها المعنى على حد ما يكشف عنه تتابع حرف السين ومعه حرف الصاد في هذين البيتين من صغير معبر عن تصويت السلاح وتفشي الصوت:

ولعلع صوت الرصاص يدوي فعاف اليراع خرافات حبري

ودان القصاص فرنسا العجوز بما اجترحت من خداع ومكر [3]

والملاحظ التكرار مثل هذا ينصب على كلمات بعينها، كما في لفظ " الرب " في المثال السابق، وهو كثير عند الشاعر وقد يتخذ في بعض الحالات شكل تلوينات بديعية كالجناس والسجع والطباق، فمثلا الجناس يقول الشاعر:

وقال له الشعب أمرك ربي وقال له الرب أمرك أمري

---

[1]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، ص 140

[2]– حواس بري: شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم، ص 298

[3]– مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، ص 69

2-هاجس الحرية والتحرر:

كما تضمن شعر مفدي زكريا التنديد بسياسة الإدماج والفرنسة اللذين كانت تعمل عليهما فرنسا، فقد بذلت جهدا كبيرا للتغرير بالعلماء عن طريق التضليل والتغليط واستغلال حسن النيات، فردّ الشاعر على تلك المزاعم قائلا: [1]

ولسنا نرضى التجنيسا فلسنا نرضى الاندماجا

ولسنا نرضى الامتزاجا ولا نرتـدّ فرنسيسا

رضينا بالاسلام تاجا كفى الجهّال تدنيسا

فكل من يبغي اعوجاجا رجمنــاه كإبليسا[2]

فالشعب الجزائري يرفض الادماج والتجنيس ولا يريد أن يكون فرنسيا.

كما اعتز الشاعر لما حققه الأجداد من انتصارات، ومن هذا المنطلق يرفض الحياة في ظل العبودية ويحفّز قومه بإثارة النخوة العربية ليمضوا نحو العلا، فالرغبة في الثورة وذم حياة المستعمر الغاشم وحياة العبودية، وفي هذا يقول:

فهيهـات أن نعيش عبيدا نحن قوم جدودنا ملكوا الدنيا

ك ينادي بنا العلا والصعودا صيد في الدماء من نخوة المل[3]

فمن خلال هذه الأبيات الرغبة في الحرية والتحرر ظاهرة وقوية في عزم الشعب على الثورة والجهاد كبير والإيمان بالنصر أكبر.

---

[1]- حواس بري: شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم ، ص 36

[2]- مفدي زكرياء ، اللهب المقدس، ص 46-47

[3]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 351

كذلك نجد الحديث بقوة كبيرة عن الانتصار في النشيد الوطني الذي نظمه مفدي زكريا في قوله:

قسما بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات

والبنود اللاّمعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات

نحن ثرنا فحية أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهـدوا[1]

ففي هذا المقطع يفاجئنا الشاعر بقسم غريب ومثير، قسم بالقنابل النازلة والدماء الطاهرة على أن الجزائريين ثاروا يطلبون الموت في سبيل الوطن أوالحياة في ظل الحرية والاستقلال.

ويقول في مقطع آخر:

نحن جند في سبيل الحق ثرنا والى استقلالنا بالحرب قمنا

لم يكن يصغى لنا لما نطقنا فاتخذنا رنة البارود وزنا

وعزفنا نغمة الرشاش لـحنا وعقدنا العزم أن حيا الجزائر

فاشهـدوا[2]

وفي هذا المقطع يبين مفدي زكريا أسباب اندلاع الثورة وهدفها الأساسي ألا وهو استقلال الجزائر وعن وسيلتها لبلوغ ذلك الهدف وهو الثورة واندلاع المعارك مع المستعمر.

د-الانتقال من زمن العتاب إلى زمن الجهاد:

إن المستعمر الغاشم حاول بطرق عديدة التلاعب بحقوق ومصير الجزائريين، فكانت وعودهم حبرا على ورق، وهذا هو تصرف العدو الخائن الذي يرغب في الاستيلاء على ارض الشعب الجزائري، لكن قوة الجزائريين وإيمانهم الكبير بالجهاد لن يقبل بمثل هذه الوعود الكاذبة

[1]- مفدي زكرياء: اللهب المقدس ، ص 71

[2]- المرجع نفسه ، ص72

فاستبسلوا للدفاع عن الوطن لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة، ويخاطب مفدي زكريا فرنسا في هذين البيتين قائلا:

يا فرنسا كفى خداعا فإنا يا فرنسا قد مللنا الوعودا

صرخ الشعب منذرا فتصا ممت وأبديت جفوة وصدودا [1]

فقوة الشعب الجزائري وتوقه للحرية جعله ينهض من صمته غير منتظر فرنسا لتحقيق وعودها، ونهض للدفاع عن وطنه الجزائر.

كذلك له أبيات ضمن النشيد الوطني فيقول في هذا المقطع:

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب فاستعدي وخذي منا الجواب

يا فرنسا إن ذا يوم الحساب فاستعدي وخذي منا الجواب

إن في ثورتنا فصل الخطاب وعقدنا العزم أن حيا الجزائر فاشهدوا[2]

فالشاعر يخاطب فرنسا بكل ثقة وإيمان أن الثورة هي التي تفصل بينها وبين الجزائريين وليس تلك الأكاذيب.

والملاحظ أن مفدي زكريا انتقى لغة فائضة بالحس الثوري، فلغة الكلام مع الاستعمار تعطلت ولغة المفاوضات تجمدت، ولغة السياسة أخرست، ولم تبق إلا لغة واحدة تتكلم إنها لغة الرصاص التي توحي بصورة واضحة إلى الثورة المجيدة، والرغبة الكبيرة في الجهاد التي قفزت إلى قمم الأطلس وساحات المعارك وأخرجتها الانتفاضات إلى عالم جديد.

هـ- الافتخار بالثورة والثوار:

[1]- مفدي زكرياء : اللهب المقدس، ص 22

[2]- المرجع نفسه، نفس الصفحة

من خلال أساليب الشاعر نلمس ثوران عاطفته وجيشان مشاعره وقوة اندفاعه، وافتخاره بثورة شعب بأكمله وصموده بالسجن فلا تخيفه القضبان، ولا قساوة السجّان، ولا ظلم الجلاّد، إنه بطل صابر محتسب،كيف لا ومفدي سخّر قلمه ولسانه للدفاع الجزائر أمة وشعبا، وطنا وتاريخا، ثورة وأصالة، فالشاعر سخّر جلّ شعره للذود عن حمى الوطن ضد كل غاصب مستبد، إذ عشق الجزائر في فلسفة الشاعر لا مثيل لها.

وفي قصيدة'الذبيح الصاعد'يظهر بيت كأنه جوهرة ثمينة وسط خيط اللآلئ إذ يقول:

أنا إن مت فالجزائر تحيا حرّة، مستقلّة، لن تبيدا [1]

والملاحظ في هذا البيت عنفوان الشباب وقوة الضمير، وجدّة الحياة وجيشان العاطفة، وثبات المبدأ وأصالة المبدع وشاعرية الفنان.

ويقول في موضع آخر في حب الجزائر من قصيدته'القافية:'

أحبها، مثل حب الله، أعبدها آمنـــــــت بالله، لا كـفر، ولا ترق

أرض الجزائر في إفريقيا، قدس رحابها، من رحاب الخلد، إن صدقوا [2]

فالجزائر شيء مقدس وثمين له حلاوة العبادة ولذة الإيمان، إن الشاعر لا يتخاذل في فداء وطنه بروحه وبأعز ما يملك، فإذا كان المؤمن يتقرب إلى الله بالأضحية والقربان، فإن مفدي يتقدم بروحه الطاهرة لوطنه الغالي.

إضافة إلى كتاباته السابقة نجد كتابته في رثائه وتغنيه بأبي الثورة الجزائرية وبطل مقاومتها'الأمير عبد القادر'الذي دوّخ فرنسا في جهاده فيقول:

إذا ذكر التاريخ أبطال أمــة يخرّ لذكراك الزمان يسجد

وإن تذكر الدنيا زعيما مخـلدا فإنك في الدنيا الزعيم المخلّد

أثرت على الظالمين حربا لم تزل عليهم تلظى كالجحيم وتوقد

فما خمدت نيران حربك لحظة وهيجان نيران الجزائر تخمـــد [3]

---

[1]– مفدي زكرياء : اللهب المقدس، ص 10

[2]– المرجع نفسه، ص 26

[3]– مفدي زكرياء ، اللهب المقدس، ص 173

ففي هذه الأبيات يذكّر الشاعر بشخصية الأمير عبد القادر وما قدمه في ثورته التي امتدّت جذورها الى ثورة الفاتح من نوفمبر الخالدة، فالأمير عبد القادر كان بطلا عظيما يشهد له التاريخ ويشهد له كل فرد من أفراد الشعب الجزائري إلى اليوم.

ومفدي زكريا هو نفسه مجاهدا بقلمه، رغم كل أساليب التعذيب والتنكيل، إلا أنه يعبّر من خلال شعره على عزمه هو وشعبه على عدم الرضوخ والاستسلام للمستعمر فيقول :

جرعونا المنون أدخلونا السجون

ينثني أو يهون ليس فينا خؤون

عـذّبوا... اجـلدوا...

واصـلبوا... واشنـقوا...

وواخـربوا... احـرقوا...

نحن لا نرهب

لا نمل الجهاد لا نمل الكفاح

في سبيل البلاد[1]

فالشاعر يقول في هذه الابيات للمستعمرين عذّبونا كما تشاؤوا، ودمّروا وأحرقوا ومارسوا إجرامكم كيفما شئتم فنحن لن نمل الكفاح عن جزائرنا، ولن نتوقف عن الجهاد في سبيل الله وتحقيق حريتنا.

وما يمكن استخلاصه من هذا المبحث، هو أن قصائد الشاعر الكبير مفدي زكريا في ديوان اللهب المقدس أغلبها ينبض بالحس الثوري، كيف لا وهو الذي سخّر قلمه للجزائر الأبية وثورتها العظيمة.

[1]– المرجع نفسه، ص87

خاتـــمـــة

خاتمة

بعد أن تمكننا بعون من الله وتوفيقه من إنهاء هذا البحث جمالية الشعر الثوري الجزائري لمفدي زكرياء، الإلياذة أنموذجا ، توصلنا إلى مجموعة من النتائج منها:

أن ماقدمه مفدي من شعر ثوري ، في ثورة الجزائر الخالدة يستحق توثيقه ثم النهوض به عبر كل الوسائط الإعلامية والتاريخية والثقافية ، والمؤسسات والمراكز البحثية في الجامعات والمعاهد الجزائرية خاصة التي تهتم بجمع التراث التاريخي والأدبي للثورة الجزائرية من أجل الارتقاء بهذا الارث المادي الذي هو ملك للشعب الجزائري ، ويؤرخ لجزء هام من التاريخ كما تعد عملية البحث والتقصي في الشعر الثوري الجزائري الذي نظم في الثورة الجزائرية من طرف مفدي زكرياء أمرا لا مفر منه من أجل إظهاره تدريجيا للأجيال القادمة على مختلف الأصعدة التاريخية والجمالية والتراثية لما فيه من تحديات تجمع بني الشعب الجزائري حول قضيتهم بانتزاع الحرية والتحرر من قيد الاستعمار الفرنسي إنما برزت وشاعت في هذا العصر نتيجة عدة أسباب ودوافع نذكر منها:

الدافع الاجتماعي: فقد شاءت أحوال المجتمعات وتعددت الآفات الاجتماعية كالفقر والبطالة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية والأديب إنسان اجتماعي بطبعه وابن بيئته، وجب عليه أن يسهم في تغيير أوضاع تلك المجتمعات.

الدافع الفلسفي: ويتمثل في ظهور مذاهب ومدارس فكرية تدعو إلى ضرورة تسخير الأدب لمعالجة قضايا المجتمع، خاصة المذهب الواقعي، ليصبح بذلك الأدب هادفا، ذات آثر إيجابي على المجتمعات، فقد تعدى الأدب مرحلة الإمتاع والمؤانسة والترويح عن النفس.

الدافع السياسي: لقد شهد العصر الحديث حركة استعمارية كان لها أثر بالغ على الشعوب المستعمرة حيث عانت من الظلم والفقر والاستعباد، مما دفع بأبنائها إلى نصرة أوطانهم وتسخير أقلامهم مثل ما فعل متنبي الجزائر الشاعر مفدي زكرياء الذي سخر قلمه طيلة حياته لنصرة الثورة الجزائرية.

ومن النتائج المستخلصة أيضا من هذا البحث:

غياب الأنا في الشعر الملتزم مثلما يظهر في شعر مفدي زكرياء فالضمير المعتمد هو الضمير " نحن " الذي يبرز روح الجماعة ويبين روح الإحساس بالانتماء إلى هذا الوطن، حيث تتجلى الوطنية في أسمى صورها.

أثر المرجعية الدينية في أشعار مفدي زكرياء التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى حيث يوظف المصطلحات والمعاني الدينية بشكل لافت مما يعكس جزء من شخصية مفدي المتدنية.

إضافة إلى ما قيل فشارعنا مفدي زكرياء أظهر اهتمامه بكل ما يحدث في البلاد العربية فنجد مرة مدافعا ومرة مفتخرا وفي أخرى داعيا إلى الوحدة بين بلدان المغرب العربي بشكل خاص.

ومن هنا تتبلور صورة الالتزام عند مفدي في صور ثلاث التزام وطني والتزام ديني والتزام قومي.

أما فيما يخص القيمة الفنية للالياذة أما من حيث اللغة فتمتاز باللغة الثورية الصاخبة ذات الإيحاءات الدالة وخاصة لغة القرآن لما لها من مميزات كالدقة والجرس الموسيقي وقوة اللفظ في قوة المعنى ، والأسلوب فلا يشك شاك أن مفدي زكرياء زواج بين جلال المعنى من خلال توظيفه لمصطلحات إسلامية، وجمال المبنى من خلال حسن اختياره للألفاظ الفخمة ذات الوقع والإيقاع الثوري حيث تفنن مفدي زكرياء في رسم لوحات تعبيرية فائقة الجمال من خلال تلك الصور المختلفة كما أن أسلوبه دقيقا وجزلا وواضحا يمتاز بالأصالة والمباشرة وطابع الحماسة والقوة والجزالة واستحضاره لشخصيات الأنبياء أما الصورة الفنية فكانت قوية طريفة ومطابقة للاضطربات النفسية، أما الوزن والإيقاع فقد حظي باهتمام الشاعر. إضافة إلى الموسيقى الشعرية التي تساعدنا على معرفة مدى صدق الشاعر في عواطفه ومعايشته للتجارب التي يعبر عنها.

وخير مانختم به قول جمال الدين الأفغاني:" لاعزة لقوم لاتاريخ لهم، ولا تاريخ لقومإذا لم يقم منه أساطين تحمي وتحي آثار رجال تاريخها، فتعمل عملهم،وتنسج على منوالهم، وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن،ووسطه الوطن،وغايته الوطن..."

فإن وفقنا فمن الله ، وإن كان غير ذلك فمن أنفسنا ومن الشيطان والله نسأل العونوالسداد إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1.القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1.مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2 ،1987م.

ثانيا: المراجع:

1.إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة،ط 3 ،1965

2.أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، ط 5، الجزائر، 2007م.

3.أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية"1930-1945"،ج3

4.أبو الهلال العسكري : الفروق في اللغة العربية، تح :محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط ، د ت .

5.أحمد الفقيه حسن : ديوان الشعر ، طرابلس، ليبيا، ط 1، 1967م

6.أحمد اللغماني: قلب على سفة ، الدار التونسية للنشر، ط 1، تونس، ، 1966م

7.أحمد عبد المعطي حجازي: الديوان ، دار العودة ، بيروت، لبنان ، ط 3، 1982م.

8.أحمد مخطار الوزير : من شعر الوزير ، الدار التونسية، تونس، ط 1، 1959م

9.أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر من 1954 حتى الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 1، الجزائر، ، 1985م

10. إيليا الحلاوي ، فن الوصف، منشورات دار الشرق الجديد، د ط. دت

11. بليحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د ط ، د ت.

12. جابر عصفور : آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق ، سوريا ، ط 1، 1997م

13. الجوهري : الصحاح ، تح : إيمل بديع يعقوب ، محمد نبيل الطريفي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،ج 1، ط 1، دت.

14. جيرار جنيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج ، تر : محمد معتصم وآخرون ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، الجزائر ، ط 2 ، 1997 م

15. حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر ، ط 1، 2005م

16. حواس بري: شعر مفدي دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994

17. دفاتر المخبر الشعرية الجزائرية، دراسات في الشعرية الجزائرية ، جامعة المسيلة ، العدد الأول ، مارس ،2009

18. الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة ناشرون ، لبنان، ط 1، 1998م،مادة (خ ط ب).

19. سعيد الورقي: لغة الحر الشعر العربي مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، دار النهضة، بيروت، دت.

20. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان، ط 3، 1997م

21. صالح أحمد: الظاهرة الجمالية في الإسلام ، المكتب الإسلامي ، بيروت، لبنان، د ط ، 1987م

22. عبد الجليل عبد القادر: هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1998م

23. عبد الحميد حسين، الأصول الفنية للأدب ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة،ط 2 ،1964

24. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 1، 1997م

25. عبد اللطيف أحمد خالص: موكب النصر ، مجلة دعوة الحق، ع 06، مارس ، مصر ،1962م

26. عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، دار العربية للكتاب، تونس، ط 3، 1977

27. عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر، د ط ، 1992م

28. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب،دار غريب للطباعة، ط 4 ،القاهرة ، 1997

29. علي صدقي عبد القادر: أحلام وثورة ، دار النشر المصرية ، مصر ، ط 1، 1957م

30. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة ، 1978

31. عمر بقرورة ، الغربة والحنينفي الشعر الجزائري الحديث (1945،1962) ،منشورات جامعة باتنة ،الجزائر،

32. الكفوي : الكليات، تح:عدنان درويش، محمد المعري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط 2 ،1998م

33. محمد الأخضر السائحي : همسات وصرخات ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط 1، 1965م ،

34. محمد الحلوي: أنغام وأصداء ، ط 1، الدار البيضاء،المغرب ، 1965م، ص 117.

35. محمد الصالح باويه : أغنية نضالية ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،ط1 ، 1970م

36. محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007

37. محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، دار النشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 351

38. محمد فاضل : الثورة والنضال في شعر مفدي زكرياء ، مخطوط رسالة دكتوراه ، إشراف حامد حفصي داود ، جامع الجزائر ، 1980م

39. محمد ناصر ، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث ، العطف ، غرداية ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، ط02، 1969.

40. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1985

41. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي1962-1954،'دراسة موضوعية وفنية'

42. مفدي زكرياء: ديوان " أمجادنا تتكلم"، مؤسسة مفدي زكرياء، تح بن حاج بلكبير حمودة ، الجزائر، 2000، ط ت .

43. المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمة التعاريف، عالم الكتب، القاهرة ، مصر ، ط 1، 1990م

44. نسيمة زمالي ، قراءة في إلياذة الجزائرلمفدي زكرياء ، دار الهدى ، الجزائر، دط 2012،

45. نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج2 ، د ط ، 1997م

46. الهادي نعمان : النغم الحائر ، مكتبة النجاح ، تونس ، ط 1، د س

47. الوناس الشعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1954-1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، دت

48. يحيى الشيخ الصالح: شعر الثورة الجزائرية عند مفدي زكرياء، دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط 1، 1987

ثالثا: المعاجم والقواميس:

1.ابن عربي : تفسير القرآن الكريم، تح : مصطفى غالب، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، مج 2، ط 2، 1978م

2.ابن منظور،لسان العرب،دار الجيل، بيروت، لبنان،1988م

3.الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين،تح:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، مج1، ط1،2003م

4.الفيروز أبادي،القاموس المحيط،تح:محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8،2005م.

الملاحق

إليـــاذة الجـــزائر

جـزائر يامطـلع المعجـزات ... ويا حجـة الله فى الكائنـات
ويابسـمة الرب فى أرضـه ... ويا وجهـه الضاحك القسمات
ويالوحـة فـى بجـل الخلو ... د تموج بهـا الصور الحالمات
ويا قصـة بث فيهـا الوجود ... معـانى السمو بروع الحيـاة
ويا صفحة خط فيهـا البقـا ... ء بنـار ونور جهـاد الأبـاة
ويا للبطـولات تغـزو الدنـا ... وتلهـمهـا الغير الخالدات
وأسطورة ردد تهـا القرون ... فهاجت بأعماقنا الذكريات
ويا تربـة تاه فيهـا الجـلال ... فتاهت بهـا القـمم الشامخات
وألقى النهاية فيهـا الجمـال ... فهمنا بأسـرارهـا الفاتنات
وأهـوى على قديمها الزمان ... فأهـوى على قديمهـا الطغـاة

اللازمـة

شغلنا الورى، وملأنا الدنا
بشعـر نرتـله كالصـلاة
تـابيعـه من حنايا الجزائر

تأذن ربك ليلة قدر! وألقى الستار على ألف شهر
وقال له الشعب: أمرك ربي! وقال له الرب: أمرك أمري!!
ودان القصاص فرنسا العجوز، بما اجترحت من خداع ومكر
ولمع صوت الرصاص يدوي فباف اليراع خرافات حبر!!
وتأبى المدافع صوغ الكلا م، إذا لم يكن من شواظ وجمر!
وتأبى القنابل طبع الحرو ف، إذا لم تكن من لهاث محمر!
وتأبى المصانع نشر الصحائف، ما لم تكن بالقرارات تسري!
ويأبى الحديد استماع الحديث، إذا لم يكن من روائع شعري!
نوفمبر غيرت مجرى الحياة، وكنت، نوفمبر، مطلع فجر!

نوفمبر.. جل جلالك فينا ... ألستَ الذي بثّ فينا اليقينا؟
سبحنا على لجج من دمانا ... وللنصر رُحنا نسوق السفينا
وثرنا، نفجّر ناراً ونوراً ... ونصنع من صلبنا الثائرينا!!
وظلهم ثورتنا مُستغاثاً ... فظلهم ثورتنا العالمينا
وتسخر جبهتنا بالبلايا ... فنسخر بالظلم والظالمينا
وتسعى السياسة، طوعاً وكرهاً ... لشعب أراد.. فأعلى الجبينا!!
جمعنا لحرب الخلاص شتاتاً ... سلكنا به المنهج المستبينا
ولولا التحام الصفوف وقانا ... لكنا سمامرة مجرمينا!!!
فليت فلسطين... تقفو خطانا ... وتطوي، كما قد طوينا السنينا!!
وبالقدس تهتم.. لا بالكراسي ... تميل يساراً بها ويمينا..!!

شغلنا الورى، وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تنابيعه من خنايا الجزائر

الملخص

الملخص

إن ماقدمه مفدي من شعر ثوري ، في ثورة الجزائر الخالدة يستحق توثيقه ثم النهوض به عبر كل الوسائط الإعلامية والتاريخية والثقافية ، والمؤسسات والمراكز البحثية في الجامعات والمعاهد الجزائرية خاصة التي تهتم بجمع التراث التاريخي والأدبي للثورة الجزائرية من أجل الارتقاء بهذا الارث المادي الذي هو ملك للشعب الجزائري ، ويؤرخ لجزء هام من التاريخ كما تعد عملية البحث والتقصي في الشعر الثوري الجزائري الذي نظم في الثورة الجزائرية من طرف مفدي زكرياء أمرا لا مفر منه من أجل إظهاره تدريجيا للأجيال القادمة على مختلف الأصعدة التاريخية والجمالية والتراثية لما فيه من تحديات تجمع بني الشعب الجزائري حول قضيتهم بانتزاع الحرية والتحرر من قيد الاستعمار الفرنسي

الإلياذة أو الملحمة جنس أدبي قائم بذاته له مقومات وخصائص متعارف عليها عبر التاريخ فهي أسطورة خالدة تؤرخ لتاريخنا المجيد عبر العصور في قالب أدبي مميز.

مفدي زكرياء شاعر ذو شخصية قوية تمتاز بملكات شعرية ومقدرة لغوية على تصدير الاحساس، ورسم الموافق من خلال ماقدمه من إبداع في الملحميات والثوريات، هذا ماجعل منه شاعرا ذا شهرة واسعة ، وفحلا من فحول الشعراء الجزائرينوكان فلذة كبده وحبه عشقه لوطنه الذي ظل ملتزما بقضايا أمته، لم يكن مقلدا بل كان يهمس في ظواهر وأحداث عصره، ليقترب بين الماضي المجيد والحاضر التعيس.

القيمة الثورية والفنية والفكرية التي تمتاز بها الالياذة، وما تحمله للأجيال من ذكريات عن تاريخ الجزائر المجيد بأفراحه وأحزانه فلكل عصر أحداث وأمجاد وأبطال تشهد لهم أعمالهم الخالدة وروائعهم الفريدة وهي إرث نعتز به ونعتبر منها وونقتدي بها.

بالاضافة الى الآثار الوخيمة التي تركها المستعمر كالسم القاتل ينتشرفي عضد المجتمع الجزائري ، وخاصة الفئة الشبابية، وعن الأوضاع السيئة التي عاشتها الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي والتي تمنى الشاعر أن تزول وأن يسير المجتمع على هدي الرسالة الاسلامية النبيلة.

أما فيما يخص القيمة الفنية للالياذة فتمتاز باللغة الثورية الصاخبة ذات الإيحاءات الدالة

وخاصة لغة القرآن لما لها من مميزات كالدقة والجرس الموسيقي وقوة اللفظ في قوة المعنى ، كما أن أسلوبه دقيقا وجزلا وواضحا يمتاز بالأصالة والمباشرة وطابع الحماسة والقوة والجزالة واستحضاره لشخصيات الأنبياء وتوظيفه لمصطلحات إسلامية، أما الصورة الفنية فكانت قوية طريفة ومطابقة للاضطربات النفسية، إضافة إلى الموسيقى الشعرية
التي تساعدنا على معرفة مدى صدق الشاعر في عواطفه ومعايشته للتجارب التي يعبر عنها.

الفـــهـــرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الواجهة	
البسملة	
تشكرات	
إهداء	
مقدمة	أ-ج
مدخل	
1- مفهوم الجمالية (لغة واصطلاحا)	**05**
1-1- الجمال لغة	**05**
1-2- الجمال اصطلاحا	**07**
1-3- الجمالية	**08**
2- مفهوم الخطاب (لغة واصطلاحا)	**08**
2-1- الخطاب لغة	**09**
2-2- الخطاب اصطلاحا	**12**
الفصل الأول: مظاهر الالتزام في شعر مفدي زكرياء	
1- علاقة الشعر بالثورة	**15**
1-1- عند شعراء المغرب العربي	**16**
1-2- عند شعراء المشرق	21
1-3- عند شعراء الجزائر	**24**
1-4- عند مفدي زكرياء	26
2- مفهوم الشعر الثوري	27
2-1- مفهوم الثورة (لغة واصطلاحا)	**27**
2-2- الشعر الثوري	38
3- الحس الثوري	40
3-1- مصادر الحس الثوري	**41**

3-2- الحس الثوري في شعر مفدي زكرياء	48
الفصل الثاني: صورة الثورة وجمالية الشعر في قصيدة إلياذة الجزائر	
1- الصورة الشعرية في وصف الجزائر	**56**
1-1- اللغة	**56**
1-2- الأسلوب	**62**
1-3- الصور الفنية	**67**
2- إيقاع الحرية في الياذة الجزائر	**70**
2-1- الموسيقى الخارجية	**71**
2-2- الموسيقى الداخلية	**76**
3-هاجس التحرر في قصيدة الياذة الجزائر	**79**
خاتمـــة	**86**
قائمة المصادر والمراجع	**90**
الملحق	**/**
فهرس الموضوعات	**/**

أُتِمَّ البَحْثُ

بِتَوفِيقٍ

مِنَ اللَّهِ